وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ
يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ
ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟
طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا
رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ
بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ
مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ
فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ
يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ
ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ

تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٨٦﴾

و منها: أنهم (وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ) محمد ﷺ،

(تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ)

***كقوله ﴿ وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ ﴾آل عمران: ١٩٩

كقوله﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾

القصص: ٥٢ - ٥٥

أثَّر ذلك في قلوبهم و خشعوا له، و فاضت أعينهم

(مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ)

بسبب ما سمعوا من الحق الذي تيقنوه، فلذلك آمنوا و أقروا به

فقالوا: (يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ)

و هم أمة محمد ﷺ، يشهــــــــــدون:-

1–لله بالتوحيـــــــــــد،

2–و لـــــــــرسله بالرسالة و صحة ما جاءوا به،

3–و يشهـــــــــدون على الأمم السابقة بالتصديق و التكذيب.

[و هم عدول، شهادتهم مقبولة]

كما قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)

فكأنهم ليموا على إيمانهم و مسارعتهم فيه، فقالوا:

(وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ)

أي: و ما الذي يمنعنا من الإيمان بالله،

و الحال أنه قد جاءنا الحق من ربنا، الذي لا يقبل الشك و الريب،

(وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ)

و نحن إذا آمنا و اتبعنا الحق طمعنا أن يدخلنا الله الجنة مع القوم الصالحين،

فأي مانع يمنعنا؟

أليس ذلك موجبا للمسارعة و الانقياد للإيمان و عدم التخلف عنه.

قال الله تعالى: (فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟)

أي: بما تفوهوا به من الإيمان ونطقوا به من التصديق بالحق

(جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ)

و هذه الآيات نزلت في النصارى الذين آمنوا بمحمد ﷺ، كالنجاشي و غيره ممن آمن منهم.

و كذلك لا يزال يوجد فيهم من يختار دين الإسلام،

و يتبين له بطلان ما كانوا عليه،

و هم أقرب من اليهود والمشركين إلى دين الإسلام.

و لما ذكر ثواب المحسنين، ذكر عقاب المسيئين قال:

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾

لأنهم كفروا بالله، و كذبوا بآياته المبينة للحق.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

يقول تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾

***صحيح مسلم

2356 عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: صَنَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَمْرًا فَتَرَخَّصَ فِيهِ،
فَبَلَغَ ذَلِكَ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِهِ، فَكَأَنَّهُمْ كَرِهُوهُ وَ تَنَزَّهُوا عَنْهُ،
فَبَلَغَهُ ذَلِكَ، فَقَامَ خَطِيبًا فَقَالَ:
«مَا بَالُ رِجَالٍ بَلَغَهُمْ عَنِّي أَمْرٌ تَرَخَّصْتُ فِيهِ،
فَكَرِهُوهُ وَ تَنَزَّهُوا عَنْهُ،
فَوَاللهِ لَأَنَا أَعْلَمُهُمْ بِاللهِ، وَ أَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً»

***وَ قَالَ الثَّوْرِيُّ، عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: -
كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، فَجِيءَ بِضَرْعٍ، فَتَنَحَّى رَجُلٌ،
فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: اُدْنُ.
فَقَالَ: إِنِّي حَرَّمْتُ أَنْ آكُلَهُ.
فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: ادْنُ فاطعَم، وَ كَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ وَ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ} الْآيَةَ.

من المطاعم و المشارب، فإنها نعم أنعم الله بها عليكم،فـــــــــ:–

1–احمـــــــــــدوه إذ أحلها لكم،

2–و اشكـــــــــروه

3–و لا تـــــــــردوا نعمته بكفرها أو عدم قبولها، أو اعتقاد تحريمها،

فتجمعـــــــــــون بذلك بين:–

1–القـــــــــول على الله الكذب،

2–و كفـــــــــر النعمة،

3–و اعتقـــــــــاد الحلال الطيب حراما خبيثا،

فإن هذا من الاعتداء. و الله قد نهى عن الاعتداء فقال:

(وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ)

*** يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْهُ:-
1-وَ لَا تُبَالِغُوا فِي التَّضْيِيقِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ فِي تَحْرِيمِ الْمُبَاحَاتِ عَلَيْكُمْ،
كَمَا قَالَهُ مَنْ قَالَهُ مِنَ السَّلَفِ.
2-وَ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ:-

كَمَا لَا تُحَرِّمُوا الْحَلَالَ فَلَا تَعْتَدُّوا فِي تَنَاوُلِ الْحَلَالِ،
بَلْ خُذُوا مِنْهُ بقَدْر كِفَايَتِكُمْ وَ حَاجَتِكُمْ،
وَلَا تُجَاوِزُوا الْحَدَّ فِيهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:
{وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا [إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ] [آل عمران: 31] }
وَ قَالَ: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} [الْفَرْقَانِ: 67]
فشرعُ اللَّهِ عَدَلَ بَيْنَ الْغَالِي فِيهِ وَ الْجَافِي عَنْهُ، لَا إِفْرَاطَ وَ لَا تَفْرِيطَ؛
وَ لِهَذَا قَالَ: {لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}

❍بل يبغضهم و يمقتهم و يعاقبهم على ذلك.

ثم أمر بضد ما عليه المشركون، الذين يحرمون ما أحل الله

فقال: (وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا)

أي: كلوا من رزقه الذي ساقه إليكم، بما يسره من الأسباب،إذا كان :–

[حلالا لا سرقة و لا غصبا و لا غير ذلك من أنواع الأموال التي تؤخذ بغير حق،

و كان أيضا (طَيِّبًاۚ)

و هو الذي لا خبث فيه، فخرج بذلك الخبيث من السباع و الخبائث.

(وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ) في امتثال أوامره، و اجتناب نواهيه.

(ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ)

فإن إيمانكم بالله يوجب عليكم تقواه و مراعاة حقه، فإنه لا يتم إلا بذلك.

و دلـــــــت الآية الكريمة على أنه:-

1-إذا حرم حلالا عليه من طعام و شراب، و سرية و أمة، و نحو ذلك،

فإنه لا يكون حراما بتحريمه،

لكن لو فعله فعليه كفارة يمين، كما قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ)الآية.

إلا أن تحريم الزوجة فيه كفارة ظهار،

2-و يدخل في هذه الآية أنه لا ينبغي للإنسان أن يتجنب الطيبات

و يحرمها على نفسه، بل يتناولها مستعينا بها على طاعة ربه.

لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ

إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ

فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓا۟

أَيْمَٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

سنن ابن ماجه

2113 عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ:

كَانَ الرَّجُلُ يَقُوتُ أَهْلَهُ قُوتًا فيه سَعَةٌ،

و كَانَ الرَّجُلُ يَقُوتُ أَهْلَهُ قُوتًا فِيهِ شِدَّةٌ،

فَنَزَلَتْ: {مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ} [المائدة:89] "

❍أي: في أيمانكم التي صدرت على وجه اللغو،

و هي الأيمان التي حلف بها المقسم من غير نية و لا قصد،

أو عقدها يظن صدق نفسه، فبان بخلاف ذلك.

(وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ)

أي: بما عزمتم عليه، وعقدت عليه قلوبكم. كما قال في الآية الأخرى:

(وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ)

(فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ) أي: كفارة اليمين الذي عقدتموها بقصدكم

(إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ)

*الميسر :لكل مسكين صاع

و ذلك الإطعام (مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ)

أي: كسوة عشرة مساكين، و الكسوة هي التي تجزئ في الصلاة.

(أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ)

أي: عتق رقبة مؤمنة كما قيدت في غير هذا الموضع،

فمتى فعل واحدا من هذه الثلاثة فقد انحلت يمينه.

***فَهَذِهِ خِصَالٌ ثَلَاثٌ فِي كَفَّارَةِ الْيَمِينِ، أَيُّها فَعَلَ الحانثُ أَجْزَأَ عَنْهُ بِالْإِجْمَاعِ.
وَ قَدْ بَدَأَ بِالْأَسْهَلِ فَالْأَسْهَلِ،
فَالْإِطْعَامُ أَيْسَرُ مِنَ الْكِسْوَةِ،

كَمَا أَنَّ الْكِسْوَةَ أَيْسَرُ مِنَ الْعِتْقِ،

فَرُقِيَ فِيهَا مِنَ الْأَدْنَى إِلَى الْأَعْلَى.

(فَمَن لَّمْ يَجِدْ) واحدا من هذه الثلاثة

(فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ) المذكور

(كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ)

تكفرها و تمحوها و تمنع من الإثم.

(وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ)

***لا تتركوها بغير تكفير

❍عن الحلف بالله كاذبا، و عن كثرة الأيمان،

و احفظوها إذا حلفتم عن الحنث فيها، إلا إذا كان الحنث خيرا،

فتمام الحفظ: أن يفعل الخير، و لا يكون يمينه عرضة لذلك الخير.

(كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ)

المبينة للحلال من الحرام، الموضحة للأحكام.

(لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)

اللهَ حيث علمكم ما لم تكونوا تعلمون.

فعلى العباد شكر الله تعالى على ما منَّ به عليهم،

من معرفة الأحكام الشرعية و تبيينها.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ
لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ
وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ
ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيۡسَ عَلَى
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ
ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن
قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ
ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا
سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ
لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ
وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَـٰمُ﴾

*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

ابن جرير عن ابن عباس قال:-

نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار شربوا

حتى إذا ثملوا عبث بعضهم ببعض

فلما أن صحوا جعل الرجل منهم يرى الأثر بوجهه و لحيته

فيقول: فعل بي هذا أخي فلان و كانوا إخوة ليس في قلوبهم

ضغائن و الله لو كان بي رءوفا رحيما ما فعل بي هذا

حتى وقعت في قلوبهم الضغائن

فأنزل الله تعالى {إنّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ} إلى قوله

{فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ}

فقال ناس من المتكلفين هي رجس و هي في بطن فلان قتل يوم

بدر وقتل فلان يوم أحد

فأنزل الله {لَيْسَ عَلَى الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا

طَعِمُوا} الآية.

***يَقُولُ تَعَالَى نَاهِيًا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ تَعَاطِي الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ،

وَ هُوَ الْقِمَارُ.

قَالُوا: كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْقِمَارِ فَهُوَ مِنَ الْمَيْسِرِ، حَتَّى لَعِبِ الصِّبْيَانِ بِالْجَوْزِ.

***صحيح مسلم

(2260) عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:

«مَنْ لَعبَ بِالنَّرْدَشِيرِ، فَكَأَنَّمَا صَبَغَ يَدَهُ فِي لَحْمِ خِنْزِيرٍ وَ دَمِهِ»( )

*** وَ أَمَّا الشِّطْرَنْجُ :-

نَصَّ عَلَى تَحْرِيمِهِ مَالِكٌ، وَ أَبُو حَنِيفَةَ، وَ أَحْمَدُ، وَ كَرِهَهُ الشَّافِعِيُّ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى.

❍يذم تعالى هذه الأشياء القبيحة،

(رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ)

و يخبر أنها من عمل الشيطان،

و أنها رجس.((***شر من عمل الشيطان))

(فَٱجْتَنِبُوهُ)

أي: اتركوه ((***الضمير عائد علي الرجس))

(لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)

فإن الفلاح لا يتم إلا بترك ما حرم الله، خصوصا هذه الفواحش المذكورة،

و هي (ٱلْخَمْرُ)

و هي: كل ما خامر العقل

أي: غطاه بسكره،

(وَٱلْمَيْسِرُ)

(بالنردشير)قال العلماء النردشير هو النرد فالنرد عجمي معرب وشير معناه حلو]

و هو:جميع المغالبات التي فيها عوض من الجانبين، كالمراهنة و نحوها،

(وَٱلۡأَنصَابُ)

التي هي: الأصنام و الأنداد و نحوها، مما يُنصب و يُعبد من دون الله،

*** هِيَ حِجَارَةٌ كَانُوا يَذْبَحُونَ قَرَابِينَهُمْ عِنْدَهَا.

(وَٱلۡأَزۡلَٰمُ)

((***القداح))التي يستقسمون بها،

فهذه الأربعة نهى الله عنها و زجر،

و أخبر عن مفاسدها الداعية إلى تركها و اجتنابها:-

1-أنها رجس، أي: خبث، نجس معنى، و إن لم تكن نجسة حسا.

و الأمور الخبيثة مما ينبغي اجتنابها و عدم التدنس بأوضارها.

2-أنها من عمل الشيطان، الذي هو أعدى الأعداء للإنسان

(إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ).

و من المعلوم أن العدو يحذر منه، و تحذر مصايده و أعماله،

خصوصا الأعمال التي يعملها ليوقع فيها عدوه،فإنها فيها هلاكه،

فالحزم كل الحزم البعد عن عمل العدو المبين،

و الحذر منها، و الخوف من الوقوع فيها.

✡أنه لا يمكن الفلاح للعبد إلا باجتنابها،

فإن الفـــــــلاح هو:-

1-الفوز بالمطلوب المحبوب،

2-و النجاة من المرهوب،

و هذه الأمور مانعة من الفلاح و معوقة له.

أن هذه موجبة للعداوة و البغضاء بين الناس،

و الشيطان حريص على بثها، خصوصا الخمر و الميسر،

ليوقع بين المؤمنين العداوة و البغضاء.

❍فإن في الخمــــــــــر من:-

انغلاب العقل و ذهاب حجاه،

ما يدعو إلى البغضاء بينه و بين إخوانه المؤمنين،

خصوصا إذا اقترن بذلك من السباب ما هو من لوازم شارب الخمر،

فإنه ربما أوصل إلى القتل.

الاحاديث الواردة في تحريم الخمر:-

صحيح البخاري

4619 عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ:سَمِعْتُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى مِنْبَرِ النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُ:
" أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ نَزَلَ تَحْرِيمُ الخَمْرِ، وَ هْيَ مِنْ خَمْسَةٍ مِنْ:-
العِنَبِ وَ التَّمْرِ وَ العَسَلِ وَ الحِنْطَةِ وَ الشَّعِيرِ وَ الخَمْرُ مَا خَامَرَ العَقْلَ "

***صحيح مسلم

(1579) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ وَعْلَةَ السَّبَإِيِّ، مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، أَنَّهُ سَأَلَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ، عَمَّا يُعْصَرُ مِنَ الْعِنَبِ،

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ رَجُلًا أَهْدَى لِرَسُولِ اللهِ ﷺرَاوِيَةَ خَمْرٍ،

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلْ عَلِمْتَ أَنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَهَا؟»

قَالَ: لَا، فَسَارَّ إِنْسَانًا،

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بِمَ سَارَرْتَهُ؟»،

فَقَالَ: أَمَرْتُهُ بِبَيْعِهَا،

فَقَالَ: «إِنَّ الَّذِي حَرَّمَ شُرْبَهَا حَرَّمَ بَيْعَهَا»،

قَالَ: فَفَتَحَ الْمَزَادَةَ حَتَّى ذَهَبَ مَا فِيهَا،( )

***سنن أبي داود

3674 عن ابْنِ عُمَرَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«لَعَنَ اللَّهُ الْخَمْرَ، وَ شَارِبَهَا، وَ سَاقِيَهَا، وَ بَائِعَهَا، وَ مُبْتَاعَهَا، وَ عَاصِرَهَا، وَ مُعْتَصِرَهَا، وَ حَامِلَهَا، وَ الْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ»

***صحيح مسلم

(1748) عن مُصْعَبِ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ،

أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ قَالَ:-

(راوية خمر) أي قربة ممتلئة خمرا(المزاد) هكذا وقع في أكثر النسخ المزاد بحذف الهاء وفي بعضها المزادة بالهاء وهي الراوية قال أبو عبيد هما بمعنى قالوا سميت راوية لأنها تروي صاحبها ومن معه والمزادة لأنه يتزود فيها الماء في السفر وغيره وقيل لأنه يزاد فيها جلد لتتسع]

1-حَلَفَتْ أُمُّ سَعْدٍ أَنْ لَا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ، وَ لَا تَأْكُلَ وَ لَا تَشْرَبَ،
قَالَتْ: زَعَمْتَ أَنَّ اللهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ،
وَ أَنَا أُمُّكَ، وَ أَنَا آمُرُكَ بِهَذَا.
قَالَ: مَكَثَتْ ثَلَاثًا حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ،
فَقَامَ ابْنٌ لَهَا يُقَالُ لَهُ عُمَارَةُ، فَسَقَاهَا،
فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ،
فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الْآيَةَ:
{وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي}
وَ فِيهَا {وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا} [لقمان: 15]
قَالَ: وَأَصَابَ رَسُولُ اللهِ ﷺ غَنِيمَةً عَظِيمَةً،
فَإِذَا فِيهَا سَيْفٌ فَأَخَذْتُهُ، فَأَتَيْتُ بِهِ الرَّسُولَ ﷺ،
فَقُلْتُ: نَفِّلْنِي هَذَا السَّيْفَ،
فَأَنَا مَنْ قَدْ عَلِمْتَ حَالَهُ،
فَقَالَ: «رُدُّهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ»
فَانْطَلَقْتُ، حَتَّى إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أُلْقِيَهُ فِي الْقَبَضِ لَامَتْنِي نَفْسِي،
فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: أَعْطِنِيهِ،
قَالَ فَشَدَّ لِي صَوْتَهُ «رُدُّهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ»
قَالَ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ} [الأنفال: 1]
قَالَ: وَمَرِضْتُ فَأَرْسَلْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَتَانِي،
فَقُلْتُ: دَعْنِي أَقْسِمْ مَالِي حَيْثُ شِئْتُ،
قَالَ فَأَبَى، قُلْتُ: فَالنِّصْفَ، قَالَ فَأَبَى،
قُلْتُ: فَالثُّلُثَ، قَالَ فَسَكَتَ، فَكَانَ، بَعْدُ الثُّلُثُ جَائِزًا.
قَالَ: وَ أَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَ الْمُهَاجِرِينَ،

فَقَالُوا: تَعَالَ نُطْعِمْكَ وَ نَسْقِكَ خَمْرًا، وَ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُحَرَّمَ الْخَمْرُ،
قَالَ فَأَتَيْتُهُمْ فِي حَشٍّ – وَ الْحَشُّ الْبُسْتَانُ –
فَإِذَا رَأْسُ جَزُورٍ مَشْوِيٌّ عِنْدَهُمْ، وَ زِقٌّ مِنْ خَمْرٍ.
قَالَ فَأَكَلْتُ وَ شَرِبْتُ مَعَهُمْ،
قَالَ فَذَكَرْتُ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرِينَ عِنْدَهُمْ.
فَقُلْتُ: الْمُهَاجِرُونَ خَيْرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ.
قَالَ فَأَخَذَ رَجُلٌ أَحَدَ لَحْيَيِ الرَّأْسِ فَضَرَبَنِي، بِهِ فَجَرَحَ بِأَنْفِي
فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ،
فَأَخْبَرْتُهُ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيَّ - يَعْنِي نَفْسَهُ - شَأْنَ الْخَمْرِ:
{إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ}
[المائدة: 90]
(القبض) هو الموضع الذي يجمع فيه الغنائم
***سنن أبي داود
3675 عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ، سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺعَنْ أَيْتَامٍ وَرِثُوا خَمْرًا،
قَالَ: «أَهْرِقْهَا» قَالَ: أَفَلَا أَجْعَلُهَا خَلًّا؟
قَالَ: «لَا»
***صحيح البخاري
5575 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:
«مَنْ شَرِبَ الخَمْرَ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا، حُرِمَهَا فِي الآخِرَةِ»( )

(حرمها) أي حرم من خمرة الجنة وهي ليست كخمرة الدنيا في سكرها وضررها وكراهة مذاقها وخبث رائحتها بل هي شراب لذيذ ممتع من أشهى أشربة الجنة. والحرمان منها يعني عدم دخول الجنة حتى يعاقب على شرب خمر الدنيا أو أنه يحرم منها أبدا حتى ولو دخل الجنة]

***صحيح مسلم

(2459) عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ

{لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا} [المائدة: 93] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ،

قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قِيلَ لِي أَنْتَ مِنْهُمْ»

ش (قيل لي أنت منهم) معناه أن ابن مسعود منهم]

و ما في الميســـــــر من:-

1-غلبة أحدهما للآخر،

2-و أخذ ماله الكثير في غير مقابلة،

ما هو من أكبر الأسباب للعداوة و البغضاء.

3-أن هذه الأشياء تصد القلب، و يتبعه البدن عن ذكر الله و عن الصلاة،

اللذين خلق لهما العبد، و بهما سعادته،

فالخمـــــــر و الميســــــر:-

1-يصدانه عن ذلك أعظم صد، و يشتغل قلبه،

2-و يذهل لبه في الاشتغال بهما،

حتى يمضي عليه مدة طويلة و هو لا يدري أين هو.

3-فأي معصية أعظم و أقبح من معصية تدنس صاحبها،

4-و تجعله من أهل الخبث،

5–و توقعه في أعمال الشيطان و شباكه،

فينقاد له كما تنقاد البهيمة الذليلة لراعيها،

و تحول بين العبد و بين فلاحه،

6–و توقع العداوة و البغضاء بين المؤمنين،

7–و تصد عن ذكر الله و عن الصلاة؟ !!

فهل فوق هذه المفاسد شيء أكبر منها؟ !!

و لهذا عرض تعالى على العقول السليمة النهي عنها، عرضا بقوله:

(فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ)

لأن العاقل – إذا نظر إلى بعض تلك المفاسد– انزجر عنها و كفت نفسه،

و لم يحتج إلى وعظ كثير و لا زجر بليغ.

وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ

فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾

طاعة الله و طاعة رسوله واحدة،

فمن أطاع الله، فقد أطاع الرسول،

و من أطاع الرسول فقد أطاع الله.

و ذلك شامل للقيام بما أمر الله به و رسوله من :–

[الأعمال، و الأقوال الظاهرة و الباطنة، الواجبة و المستحبة]

المتعلقة بـــــــــ:

و الانتهاء عما نهى الله و رسوله عنه كذلك.
و هذا الأمر أعم الأوامر،
فإنه كما ترى يدخل فيه كل أمر و نهي، ظاهر و باطن،
و قوله:(وَٱحۡذَرُواْۚ)
أي: من معصية الله و معصية رسوله،
فإن في ذلك الشر و الخسران المبين.
(فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ)
عما أمرتم به و نهيتم عنه.
(فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ)
و قد أدى ذلك.
فإن اهتديتم فلأنفسكم، و إن أسأتم فعليها،
و الله هو الذي يحاسبكم،
و الرسول قد أدى ما عليه و ما حمل به.
لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٣
*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:
صحيح البخاري

2464 - ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،
كُنْتُ سَاقِيَ القَوْمِ فِي مَنْزِلِ أَبِي طَلْحَةَ،
وَكَانَ خَمْرُهُمْ يَوْمَئِذٍ الفَضِيخَ،
فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُنَادِيًا يُنَادِي:
«أَلاَ إِنَّ الخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ»
قَالَ: فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: اخْرُجْ، فَأَهْرِقْهَا،
فَخَرَجْتُ فَهَرَقْتُهَا، فَجَرَتْ فِي سِكَكِ المَدِينَةِ،
فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ: قَدْ قُتِلَ قَوْمٌ وَهِيَ فِي بُطُونِهِمْ،
فَأَنْزَلَ اللَّهُ:
{لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا}
[المائدة:93] الآيَةَ()

لما نزل تحريم الخمر و النهي الأكيد و التشديد فيه،

تمنى أناس من المؤمنين أن يعلموا حال إخوانهم الذين ماتوا على الإسلام قبل تحريم الخمر و هم يشربونها.

فأنزل الله هذه الآية، و أخبر تعالى أنه

(خمرهم) أصل الخمر من المخامرة وهي المخالطة سميت بها لمخالطتها العقل. ومن التخمير وهو التغطية سميت بها لتغطيتها العقل. (الفضيخ) شراب يتخذ من البسر المفضوخ من الفضخ وهو كسر الشيء الأجوف والبسر نوع من التمر. (فأهرقها) من الإهراق وهو الإسالة والصب وأصله الإراقة والهاء زائدة. (سكك) جمع سكة وهي الطريق. (وهي في بطونهم) أي ولم يمض على شربهم لها زمن طويل. (جناح) إثم. (طعموا) شربوا من الخمر قبل التحريم.

(﴿لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ﴾)

أي: حرج و إثم

(﴿فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾) من الخمر و الميسر قبل تحريمهما.

و لما كان نفي الجناح يشمل المذكورات و غيرها،

قيد ذلك بقوله:

(﴿إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ﴾)

أي: بشرط أنهم تاركون للمعاصي، مؤمنون بالله إيمانا صحيحا،

موجبا لهم عمل الصالحات،

ثم استمروا على ذلك.

و إلا فقد يتصف العبد بذلك في وقت دون آخر.

فلا يكفي حتى يكون كذلك حتى يأتيه أجله،

و يدوم على إحسانه،

(﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾)

فإن الله يحب المحسنين في عبادة الخالق، المحسنين في نفع العبيد،

و يدخل في هذه الآية الكريمة:-

من طعـــــــم المحرم، أو فعــــــــل غيره بعد التحريم،

ثم اعترف بذنبه و تاب إلى الله، و اتقى و آمن و عمل صالحا،

فإن الله يغفر له، و يرتفع عنه الإثم في ذلك.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن
يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٩٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ
ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ
مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ
أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ٩٥

هذا من منن الله على عباده، أن أخبرهم بما سيفعل قضاء و قدرا،

ليطيعوه و يقدموا على بصيرة،

و يهلك من هلك عن بينة،

و يحيا من حي عن بينة،

فقال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ)

لا بد أن يختبر الله إيمانكم.

(لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ)

أي: بشيء غير كثير، فتكون محنة يسيرة، تخفيفا منه تعالى و لطفا،

و ذلك الصيد الذي يبتليكم الله به

(تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ)

***(تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ):صغار الصيد و فراخه

***(وَرِمَاحُكُمۡ)كباره

أي: تتمكنون من صيده، ليتم بذلك الابتلاء،

لا غير مقدور عليه بيد و لا رمح،

فلا يبقى للابتلاء فائدة.

ثم ذكر الحكمة في ذلك الابتلاء، فقال:

(لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ)

علما ظاهرا للخلق يترتب عليه الثواب و العقاب

(مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ)

*** أَنَّهُ تَعَالَى يَبْتَلِيهِمْ بِالصَّيْدِ يَغْشَاهُمْ فِي رِحَالِهِمْ،
يَتَمَكَّنُونَ مِنْ أَخْذِهِ بِالْأَيْدِي وَ الرِّمَاحِ سِرًّا وَ جَهْرًا
لِيُظْهِرَ طَاعَةَ مَنْ يُطِيعُ مِنْهُمْ فِي سِرِّهِ وَجَهْرِهِ،
كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} [الْمُلْكِ:12] .

❍فيكف عما نهى الله عنه مع قدرته عليه و تمكنه، فيثيبه الثواب الجزيل،

ممن لا يخافه بالغيب،

فلا يرتدع عن معصية تعرض له فيصطاد ما تمكن منه

(فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ) منكم

(بَعۡدَ ذَٰلِكَ) البيان، الذي قطع الحجج، و أوضح السبيل.

(فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

أي: مؤلم موجع، لا يقدر على وصفه إلا الله،

لأنه لا عذر لذلك المعتدي، و الاعتبار بمن يخافه بالغيب،

و عدم حضور الناس عنده.

و أما إظهار مخافة الله عند الناس،

فقد يكون ذلك لأجل مخافة الناس، فلا يثاب على ذلك.

ثم صرح بالنهي عن قتل الصيد في حال الإحرام،

فقال: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۚ)

*** وَ هَذَا تَحْرِيمٌ مِنْهُ تَعَالَى لِقَتْلِ الصَّيْدِ فِي حَالِ الْإِحْرَامِ،
وَ نُهِيَ عَنْ تَعَاطِيهِ فِيهِ.
وَ لَا يُسْتَثْنَى مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَائِشَةَ:-
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "خَمْسُ فَواسِق يُقْتَلْنَ فِي الحِلِّ و الحَرَم:-
الغُراب وَ الْحِدَأَةُ، و العَقْرب، وَ الْفَأْرَةُ، وَ الْكَلْبُ العَقُور".
قَالَ أَيُّوبُ، قُلْتُ لِنَافِعٍ: فَالْحَيَّةُ؟
قال: الحية لا شك فِيهَا، وَ لَا يُخْتَلَفُ فِي قَتْلِهَا.
وَ مِنَ الْعُلَمَاءِ - كَمَالِك وَ أَحْمَدَ-مَنْ أَلْحَقَ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ:-
الذِّئْبَ، و السَّبْعُ، و النِّمْر، و الفَهْد؛ لِأَنَّهَا أَشَدُّ ضَرَرًا مِنْهُ فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

أي: محرمون في الحج و العمرة،

و النهـــــــــي عن قتله يشمل :-

1-النهي عن مقدمات القتل،

2–و عن المشاركة في القتل،

4–و الـــــــدلالة عليه،

5–و الإعـــــــانة على قتله،

حتى إن من تمام ذلك أنه ينهى المحرم عن أكل ما قُتل أو صيد لأجله،

و هذا كله تعظيم لهذا النسك العظيم،

أنه يحرم على المحرم قتل و صيد ما كان حلالا له قبل الإحرام.

وقوله: (وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا)

*** وَ الَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ أَنَّ الْعَامِدَ وَ النَّاسِيَ سَوَاءٌ فِي وُجُوبِ الْجَزَاءِ عَلَيْهِ.

أي: قتل صيدا عمدا (فـ) عليه

(فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ)

أي: الإبل، أو البقر، أو الغنم، فينظر ما يشبه شيئا من ذلك،

فيجب عليه مثله، يذبحه و يتصدق به.

و الاعتبار بالمماثلة أن

(يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ)

أي: عدلان يعرفان الحكم، و وجه الشُبه، كما فعل الصحابة رضي الله عنهم،

حيث قضوا بــــــــ:–

الحمــــــــامة شاة،

و في النعــــــــامة بدنة،

و في بقر الوحش – على اختلاف أنواعه– بقرة،

((***و في الغزال بعنز))

و هكذا كل ما يشبه شيئا من النعم، ففيه مثله،

فإن لم يشبه شيئا ففيه قيمته، كما هو القاعدة في المتلفات،

و ذلك الهدي لا بد أن يكون

(هَدْيَۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ)

أي: يذبح في الحرم.

(أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ)

أي: كفارة ذلك الجزاء طعام مساكين، أي:–

يجعل مقابلة المثل من النعم، طعام يطعم المساكين.

قال كثير من العلماء:–

يقوم الجزاء، فيشترى بقيمته طعام،

فيطعم كل مسكين مُدَّ بُرٍّ أو نصفَ صاع من غيره.

(أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ) الطعام

(صِيَامًا) أي: يصوم عن إطعام كل مسكين يوما.

(لِّيَذُوقَ) بإيجاب الجزاء المذكور عليه

(وَبَالَ أَمْرِهِۦۗ)

***عقوبة فعله الذي ارتكب فيه المخالفة

(عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ)

***في زمان الجاهلية لمن أحسن في الاسلام و اتبع شرع الله و لم يرتكب المعصية

(وَمَنۡ عَادَ) بعد ذلك

*** وَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بَعْدَ تَحْرِيمِهِ فِي الْإِسْلَامِ وَ بُلُوغِ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ إِلَيْهِ

(فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ)

و إنما نص الله على المتعمد لقتل الصيد،

مع أن الجزاء يلزم المتعمد و المخطئ،

كما هو القاعدة الشرعية – أن المتلف للنفوس و الأموال المحترمة،

فإنه يضمنها على أي حال كان، إذا كان إتلافه بغير حق،

لأن الله رتب عليه الجزاء و العقوبة و الانتقام، و هذا للمتعمد.

و أما المخطئ فليس عليه عقوبة،

إنما عليه الجزاء، هذا جواب الجمهور من هذا القيد الذي ذكره الله.

و طائفة من أهل العلم يرون تخصيص الجزاء بالمتعمد و هو ظاهر الآية.

❍و الفرق بين هذا و بين التضمين في الخطأ في النفوس و الأموال في هذا الموضع الحق فيه لله،

فكما لا إثم لا جزاء لإتلافه نفوس الآدميين و أموالهم .

http://www.eajaz.org/index.php/component/content/article/78-Twenty-number/656-Alcohol-damage-to-the-respiratory-system

أضرار الخمر على الجهاز التنفسي

د. شبيب بن علي الحاضري

الجهاز التنفسي آية من آيات الله المعجزة؛ التي ترينا عظمة الخالق وقدرته - سبحانه - على إبداع خلقه وإتقانه لكل شيء، قال تعالى:

(صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) (النمل: 88).

هذا الجهاز الحيوي: أعضاؤه قليلة، لكن أعماله جليلة.. يبدأ بالأنف، فالبلعوم، فالحنجرة فالقصبة الهوائية، فالشعب الهوائية، وينتهي بالرئتين.

إنه جهاز التكرير في الجسم، يمده بالأكسجين وينتزع منه ثاني أكسيد الكربون، وأي عطب في هذا الجهاز يؤثر على حياة كل خلية في هذا الجسم.

* فماذا تفعل الخمر مع أعضاء هذا الجهاز الحساس؟

(1) الأنف:

إنه المكيف الرباني، الذي هيأ الله فيه أغشية مخاطية تدفيء الهواء البارد، وترطب الهواء الساخن، ليس هذا فحسب، بل حباه الله بشعيرات تحجز الأتربة والأوساخ وتمنعها من الدخول إلى المجاري التنفسية.

والأنف كما نعلم هو عضو الشم في جسم الإنسان بواسطته يستطيع المرء التميز بين الروائح المختلفة، وقد وجد أن الإدمان على تعاطي الخمور يضعف تلك الحاسة المهمة مما قد يؤدي في النهاية إلى فقد تلك النعمة التي أنعم الله بها على هذا الإنسان.

كما تتسبب الخمر في إصابة الأنف بالورم الفقاعي (Rhinophyma) أو ما يعرف بأنف السكير، حيث يحدث تشوه بالغ في الأنف قد يحتاج معه الأمر إلى إجراء عملية تجميل.

(2) البلعوم:

هو الممر الذي يتفرع منه كل من المريء (الذي يقوم بتوصيل الطعام إلى المعدة) والحنجرة والقصبة الهوائية (اللتين تقومان بتوصيل الهواء إلى الرئتين).

ولكن كيف يتم التحكم في ذهاب كل من الطعام والهواء دون أن يخطئ كل منهما الطريق؟

إنها عناية البارئ جل في علاه وقدرته على إبداع الخلق وتقديره الحكيم، قال تعالى:

(قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) (طه: 49، 50)

فلقد جعل المولى ـ سبحانه وتعالى ـ حارساً أميناً على هذين الممرين الحيويين يعرف بلسان المزمار (Epiglottis).

وتتجلى قدرة الخالق العظيم ـ سبحانه وتعالى ـ في الدقة المتناهية لهذا العضو الحساس، فلو أن أحدنا أراد أن يبلع لقمة أو حتى أن يبلع ريقه، فإن لسان المزمار يقوم بغلق منافذ الحنجرة والقصبة الهوائية، حتى لا يتسرب شيء من الطعام أو الريق إلى الرئتين فيغص بهما الإنسان ويسببان له اختناقاً وربما التهاباً رئوياً، في حين لو أراد أحدنا أن يتنفس فإن هذا العضو يقوم بغلق مجرى الطعام ليدخل الهواء سهلاً إلى الرئتين عن طريق الحنجرة.. فسبحان الخالق العظيم القائل: (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ) (لقمان: 11).

وهذا العضو يستلهم أوامره بإذن الله من الجهاز العصبي، الأمر الذي ينتج عنه عدم قدرة الجهاز العصبي على إرسال الأوامر إلى ذلك الحارس الأمين؛ فلا يستطيع أن يقوم بالمهمة التي هيأه الله لها، فلذا نجد شارب الخمر

كثيراً يغص بريقه أو بلقمة صغيرة مما يؤدي إلى إصابته بالاختناق والسعال الحاد وربما الموت.

وتتسبب الخمر إلى جانب ذلك بإصابة البلعوم بالالتهابات المتكررة (Pharyngitis) والتي تجعل المريض يكره حياته نتيجة لتكررها حيث يصاب بصعوبة في البلع بشكل دائم، إلى غير ذلك من الأعراض.

وقد أثبتت الأبحاث العلمية دور الكحول في الإصابة بسرطان البلعوم.

(3) الحنجرة:

عضو صغير لا يتعدى طولها (5سم)..

إلا أن دورها ليس بالأمر السهل.

فعند حركة البلع ترتفع الحنجرة فتساعد بذلك على سهولة حركة لسان المزمار.. فينغلق بذلك منفذ القصبة الهوائية و ينفتح المريء،

كما أنها تقوم بوظيفة عظيمة في عملية الكلام نظراً لاحتوائها على الحبال الصوتية.

و لكن ما تأثير الكحول على الحنجرة؟

من الملاحظ أنه عندما يصل شارب الخمر إلى مرحلة السكر فإنه يفقد السيطرة على سلوكه،

و تتحرر بذلك القيود التي كانت تكبح جماحه،

فيبدأ بالصراخ بصوت عال،

و يُكْثِرُ من الكلام و ربما الغناء،

و كل ذلك يؤدي إلى إصابة الحنجرة بالالتهاب الحاد إذا تكرر هذا الأمر،

كما أن الحنجرة تلتهب من جراء طعم الكحول اللاذع و الحاد،

فلذا نلاحظ أن المدمن كثيراً ما يصاب بسعال دائم و بحة و خشونة في صوته،

و ذلك بسبب تورم الحبال الصوتية نتيجة للالتهاب؛
الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى ضعف مقاومتها تجاه الجراثيم،
فتصبح فريسة سهلة لأنواع عديدة من هذه الجراثيم
و خصوصاً بكتريا السل.
كما يؤثر الكحول في الإصابة بسرطان الحنجرة.
كيف تؤثر الخمر على القصبة الهوائية؟
يتسبب الكحول في إصابة القصبة الهوائية و تفرعاتها بالأمراض التالية:-
أ ـ التهاب القصبات المزمن (chronic bronchitis):
لقد لاحظ الباحثون كثرة انتشار التهاب القصبات المزمن لدى المدمنين على الخمور، حيث يصاب المدمن بنوبات من السعال الشديد والمستمر مصحوباً في غالب الأحيان ببلغم (sputum)،
و قد يكون هذا البلغم مخلوطاً بدم أحياناً.
كما يعاني المريض من ضيق في صدره يجعله غير قادر على التنفس بشكل طبيعي.
و يرجع العلماء سبب انتشار هذا المرض لدى المدمنين إلى الآتي:-
1ـ العلاقة الحميمة والصداقة الوطيدة التي تربط إدمان الخمور بعادة التدخين، حيث إنه من النادر أن نجد مدمناً على الخمر لا يدخن.
2ـ تكرر إصابة القصبات بالالتهاب نتيجة لتكرر إصابة المدمن باستنشاق (Aspiration) الأجسام الغريبة من ريق وطعام وجراثيم وغيرها،
كما يساعد في ذلك تأثر منعكس السعال (cough refiex) الذي يتأثراً بالغاً.
3ـ سوء التغذية الذي يصيب معظم المدمنين.
ب ـ توسع القصبات (Bronchiectasis):
يحدث هذا المرض نتيجة لتكرر إصابة المدمن بالالتهابات الرئوية

و تراكم الإفرازات التي تؤدي إلى انسداد القصبات،
و من ثم إصابتها بالإنتانات مما يؤدي في النهاية إلى تأثر تلك القصبات وفقدانها لقوامها فتتوسع توسعاً لا يمكن بعده أن تعود لحالتها الأولى.
و ذلك التوسع يؤدي إلى مشكلات عديدة بالنسبة للمريض؛ حيث تزداد نوبات السعال حدة وتكرراً، كما يزداد إفراز البلغم من المريض بشكل كثيف،
و قد يرافق السعال خروج كمية من الدم (Haemoptysis)،
و يتعرض معها المريض للإصابة بالتهاب القصبات بشكل متكرر،
و نتيجة لذلك تنقلب حياة المريض إلى جحيم لا يطاق ـ
فالحمد الله الذي عافانا مما ابتلى به كثيراً من خلقه.

ج ـ هبوط في عملية التنفس (Respiratory failure):

لقد وجد الباحثون أن الإدمان على الكحول يتسبب في رفع نسبة حدوث هبوط (فشل) عملية التنفس عند المصابين باعتلال الرئة الانسدادية المزمن (COPD).

و ذلك للأسباب التالية:

(1) التأثير السمي المباشر للكحول على مراكز التنفس في الدماغ مما يؤدي إلى تثبيطها.
(2) دور الكحول في إصابة المدمن بالالتهابات الرئوية المتكررة.
(3) يعتبر مدمنو الخمور هم أكثر الناس عرضة للكسور التي تصيب أضلاع القفص الصدري، و خصوصاً عند تماديهم في الشراب،
مما يؤدي إلى إعاقة دور القفص الصدري في عملية التنفس.
(4) تعرض عضلات التنفس للضعف نتيجة لنقص الفوسفات (Hypophosphatemia) الذي تحتاجه العضلات،

و قد سجل الباحث (نيومان و زملاؤه) حالتين لهبوط التنفس نتيجة لنقص الفوسفات الناتج عن تعاطي الخمور.

(5) انسداد الحنجرة الذي ينتج عن اعتلال العصب الحرقفي العاشر (المبهم) عند الكحولي (Alcoholic vagal neuropathy)،

و الذي يصاحب انحلال المخيخ الحاد (Acute cerebellar degeneration) عند المدمنين على تعاطي الخمور.

و قد سجلت حالة لهبوط التنفس عند أحد المدمنين على الكحول يبلغ من العمر ستاً وأربعين عاماً.

(5) الرئتان:

هما نهاية المطاف للجهاز التنفسي.. محميتان ـ بفضل الله ـ داخل القفص الصدري، و تشبه الرئتان في شكليهما الإسفنج إلى حد بعيد،

و تعتبر الرئة اليمني أكبر حجماً من اليسرى،

و تنقسم إلى ثلاثة فصوص في حين أن الرئة اليسرى تنقسم إلى فصين فقط.

و جهاز التنقية (الرئتان) يقوم بإمداد الدم بالأكسجين اللازم للخلايا و سحب ثاني أكسيد الكربون،

و ذلك من خلال الدورة الرئوية (الصغرى).

و تتم هذه العملية في دقة محكمة و إبداع منظم لتظهر عظمة الخالق العظيم ـ سبحانه وتعالى.

فماذا تفعل الخمر بالرئتين؟

لقد كان الباحثان (بورش) و (دي باسكويل) هما أول من وصف اعتلال الرئة الكحولي (Alcoholic lung disease)،

بعد أن وجدا تغيرات هستولوجية في البنية الهيكلية للرئتين من جراء الإدمان على الكحول.

وقد أثبتت بعض الأبحاث تأثير إدمان الكحول على الوظائف الفسيولوجية للرئتين و خصوصاً قدرة الرئتين على استيعاب أحجام معينة من الغازات (Lung volumes)،
و السعة الانتشارية للغازات (Diffusing capacity).
كما يتسبب الكحول بتأثيره السام في تقليل كمية الأكسجين (Hypoxia) في الدم و رفع نسبة ثاني أكسيد الكربون (Hypercapnia)،
لذا نجد أن الرئتين تحاولان التخلص من هذا السم الخبيث،
لهذا تشم رائحة الكحول في زفير السكير.
و يستطيع الإنسان من خلال جهاز خاص أن يعرف نسبة تركيز الكحول في دم السكير،
و هذا الجهاز يستخدمه رجال المرور في أوروبا و أمريكا،
حيث تحدد نسبة معينة للكحول في دماء السائقين لا ينبغي تعديها.
كما لوحظ أنه عند ارتفاع شارب الخمر إلى مكان مرتفع أو صعوده في الطائرة إلى ارتفاعات شاهقة،
فإن الكحول يتسبب في نقص الأكسجين بشكل كبير،
مما قد يؤدي إلى إصابته بالاختناق و ربما الموت..
و لذا فإن تعليمات الطيران في الولايات المتحدة تحظر على الطيارين تناول أية مشروبات كحولية قبل طيرانهم بثماني ساعات،
كما تفيد بعض التقارير بأن (44%) من حوادث الطيارين غير التجاريين سببها شرب الخمر،
رغم أن نسبة الكحول في دمائهم لم تزد عن (4%)
(أقل من أربعة كؤوس في ثلاث ساعات).
و هناك تحليل علمي يؤكد بأنه إذا كان وزن الشخص (72) كيلو غراماً

و شرب (8) أوقيات من الويسكي أو (96) من البيرة في ظرف ساعتين و جب أن تمر عليه (10) ساعات قبل أن تعود نسبة الكحول في دمه إلى درجة الصفر.

كما يتسبب الكحول في العديد من الأمراض التي تصيب الرئتين، منها:-

أ ـ التهاب الرئة الاستنشاقي (Aspiration pneumonia):

لقد هيأ المولى ـ جل في علاه ـ من وسائل الحماية للرئتين ما يجعلهما في مأمن ـ بإذن الله ـ من دخول أي جسم غريب..

و من تلكم الوسائل:-

1 ـ منعكس السعال (Cough reflex) الذي يعمل على طرد أي جسم غريب يدخل إلى المجاري التنفسية بسرعة فائقة.

2 ـ حركة الشعيرات التي تمتد على طوال الجهاز التنفسي،
و التي تعمل كسد منيع في وجه الأجسام الغريبة،
حيث تدفعها إلى خارج الجهاز التنفسي،
كما يلعب السائل المخاطي دوراً مهماً في الحد من تقدم هذه الأجسام و من ثم لفظها إلى الخارج.

3 ـ دور لسان المزمار و الحنجرة ـ كما سبق شرحه.

4 ـ خاصية البلع (البلعمة) (Phagocytosis) التي تتمتع بها كريات الدم البيضاء و البالعات الحويصلية الكبيرة (Alveolar macrophages)
و التي تستطيع ـ بفضل الله ـ تحطيم أي جسم غريب يصل إلى الرئتين.

كل تلك الوسائل التي هيأها الله ـ تعالى ـ لتطهير الرئتين و الدفاع عنهما تتأثر تأثراً بالغاً بالكحول مما يجعل المدمنين على الخمور هم أكثر الناس عرضة للإنتانات و الأمراض الرئوية الأخرى.

و ليس هذا فحسب،

بل تشترك عوامل أخرى في التأثير على الرئتين من جراء تعاطي الخمور، و منهـــــــا:

1 ـ انخفاض قدرة المدمن على مقاومة الأمراض،
و ذلك لتأثير الكحول على خاصية البلع ـ كما ذكرنا سابقاً ـ
بالإضافة إلى تأثير الكحول على حركة كريات الدم البيضاء و البالعات الحويصلية الكبيرة
و منعها من التوجه إلى أماكن العدو،
و انخفاض تكوين الأجسام المضادة.
2 ـ يتسبب الكحول في نقص الأحماض الدهنية التي تعتبر مصدراً لتكوين الدهون للحويصلات الهوائية (الأنساخ)
و بذا يمكن أن يحدث تحطم لا رجعي في الهيكل البنيوي للرئتين.
و تفيد الإحصاءات الطبية أن نحو (10%) من حالات التهاب الرئة الاستنشاقي كانت بسبب الإدمان على الخمور.
فعندما يشرب السكير حتى الثمالة يصبح أكثر عرضة للتقيؤ
و من ثم استنشاق ذلك القيء و أخيراً وصوله إلى الرئتين.
فإذا كان القيء من العصارة الهضمية التي تحتوي على حامض الهيدروكلوريك، فإن وصولها إلى الرئتين يتسبب في ضعف شديد في التنفس مع ضيق و اختناق و ربما الوفاة بالصدمة.
و بالرغم من الرعاية الطبية الفائقة لتلك الحالات إلا أن نسبة الوفيات تتراوح بين (30 ـ 6%).
كما يمكن أن يغص السكير بلقمة أو بأي جسم غريب؛
الأمر الذي يؤدي إلى انسداد الحنجرة إذا كانت اللقمة كبيرة،
فيصاب السكير بالاختناق ويزرق بدنه وقد تكون نهايته.

ب ـ الالتهابات الرئوية البكتيرية (Bacterial pneumonia):

تنتشر الالتهابات الرئوية البكتيرية عند المدمنين على الخمور نتيجة للأسباب التالية:

1 ـ تأثر عملية تطهير الرئتين من الأجسام الغريبة ـ كما سبق و أن شرحنا.

2 ـ ضعف المناعة عند المدمن في مقاومة الأمراض.

3 ـ تأثر الفم بالكحول و خصوصاً اللثة و الأسنان مما يؤدي إلى تكاثر الجراثيم التي تجد مرتعاً خصباً لها على الأسنان المتعفنة و المتسوسة، مما يهيء الفرصة لوصول تلك الجراثيم إلى الرئتين وإصابتهما بالالتهابات المتكررة.

4 ـ سوء التغذية المصاحب للإدمان على الخمور.

و تفيد المصادر الطبية أن نسبة حدوث الوفيات بسبب الالتهابات الرئوية البكتيرية عند المدمنين تفوق ثلاثة أضعاف النسبة عند غيرهم من غير المدمنين.

كما يذكر التقرير الصادر عن الكلية الملكية للأطباء في بريطانيا عام 1987م، ما يلي:-

(لابد أن يوجه الأطباء سؤالاً إلى كل المرضى الذين يعانون من الالتهابات الرئوية، هل أنت ممن يتعاطى الكحول أم لا؟).

و تسوق لنا المجلة الطبية لأمريكا الشمالية بعض الإحصاءات و الدراسات التي أجريت بهذا الصدد، نذكر منها:

*** تشكل الالتهابات الرئوية الناتجة عن المكورات السبحية الرئوية (Streptococcus pneumoniae)، نحو (80%) من مجموعة الالتهابات الرئوية البكتيرية.**

و قد أثبتت إحدى الدراسات أن الإدمان على الكحول كان سبباً في وفاة ثلاثين حالة من بين سبع و ثلاثين حالة التهاب رئوي في إحدى الولايات.

* وجد الباحثان (شميث) و (دي لنت) من خلال متابعتهما لنحو (6478) مدمن و مدمنة أصيبوا بالالتهاب الرئوي ولفترة (14) عاماً ـ
و ذلك أثناء ترددهم على عيادة مكافحة الإدمان في تورنتو بكندا ـ
وجدا أن نسبة الوفيات من جراء الالتهابات الرئوية فاقت ثلاثة أضعاف عند الرجال و سبعة عند النساء مقارنة بغير المدمنين.
* وجد الباحثان (كابس) و (كولمان) أن نسبة الوفيات من جراء الالتهابات الرئوية عند أولئك الذي يتعاطون الكحول بكميات كبيرة تقدر بنحو (49.9%) في حين بلغت عند أولئك الذين يتعاطونها بكميات معتدلة نحو (34.4%)،
أما أولئك الذين يتعاطونها بكميات قليلة فقد بلغت نسبة الوفيات فيهم نحو (22.5%).
* في دراسة أجراها الباحث (دورف وزملاؤه) على نحو (148) مصاباً بالالتهابات الرئوية عولجوا في أحد المستشفيات الأمريكية ـ
وجد أن الإدمان على الكحول كان سبباً في إصابة (35%) من إجمالي عدد المرضى.
أما الباحثان (كومت) و (جاتش) فقد وضعا تقريراً عن (37) جثة ـ توفي أصحابها بسبب الالتهابات الرئوية ـ حيث وجدا أن (30) جثة كانت لمدمنين على الكحول، وأن (22) منهم توفوا في اليوم الأول من دخولهم المستشفى.
* وفي دراسة قام بها (وينترباوير وزملاؤه) لنحو (158) مريضاً تكرر تنويمهم في أحد المستشفيات الأمريكية بسبب تكرر إصابتهم بالالتهابات الرئوية، حيث وجد أن (63) منهم (40%) كان الكحول هو السبب في إصابتهم بالالتهابات المتكررة.

* يؤكد الباحثان (آدمز) و (جوردان) من كلية الطب بجامعة كاليفورنيا أن عدداً من الذين أصيبوا بالالتهابات الرئوية قد تعاطوا الكحول بكثرة قبل إصابتهم بأيام أو أسابيع.

والجدير بالذكر أنه توجد عدة أنواع أخرى من البكتيريا يمكن أن تصيب المدمنين بالالتهابات الرئوية ومنها: الكلبسيلا (klebsiella)، والاشريكية القولونية (E. coli)ن والبكتريا الزائفة (Pseudomonas)، والبكتيريا المتقلبة (Proteus)، والبكتيريا العنقودية (Staphyl0ococcus)، والمستدمية النزلية (H. influenzae) والليوجونيلا (Ligionella)، والبكتيريا اللاهوائية (Anaerobic bacteria).

وبالرغم من التقدم الباهر في استخدام المضادات الحيوية في علاج الالتهابات الرئوية، إلا أن نسبة الوفيات ما تزال مرتفعة في أوساط مدمني الخمور.

ويعزا سبب ذلك إلى أن أعراض المرض لا تظهر بشكل واضح عند المدمنين، بل إن الفحوصات تظهر علامات غير واضحة وغير مؤكدة، مما يجعل التشخيص معها متعذراً، الأمر الذي يعطي فرصة سانحة لاستفحال المرض، بالإضافة إلى أن المدمن لا يقدر مدى خطورة المرض لأنه لا يكاد يفيق من سكره حتى يعود إليه مرة ثانية دون أن يدرك ما يجرى في رئتيه.

والخطير في الالتهابات الرئوية أنها يمكن أن تتسبب في مضاعفات خطيرة منها: هبوط وفشل في التنفس، وتكون خراجات، والتهاب السحايا، والتهاب شغاف القلب (Endocarditis).

ج ـ خراج الرئة (Lung abscess):

تتكون خراجات الرئة كنتيجة لمضاعفات الالتهابات الرئوية وتوسع القصبات الهوائية عند مدمني الخمور، وذلك نتيجة لما يحدث من تهتك وتآكل لأنسجة الرئتين.

وتفيد الإحصاءات الطبية أن الكحول هو المسؤول الأول عن تكون هذه الخراجات عند نحو (30 ـ 70%) من مجموع الحالات.
أما أسباب تكونها فهي نفس الأسباب التي سبق ذكرها عند الحديث عن الالتهابات الرئوية.
أما الأعراض التي تظهر فتتمثل في ارتفاع درجة الحرارة مع قشعريرة وزيادة في التعرق وألم في الصدر، وسعال جاف قد يصاحبه بلغم قيحي، ولابد من العلاج بشكل مكثف.
ومن مضاعفات المرض انتشار هذه الالتهابات إلى الرئة غير المصابة بالإضافة إلى التهاب غشاء الجنب؛ وربما التهاب غشاء التامور المحيط بالقلب والذي قد يؤدي إلى الوفاة إذا لم يعالج المريض. وقد ينتقل القيح طريق الدم ليصل إلى أماكن عدة مثل الدماغ والكلية والكبد فتتكون خراجات في تلك الأعضاء.
د ـ مرض الدرن (السل Tuberculosis**):**
تعتبر الصداقة وطيدة وقديمة بين مرض السل والإدمان على الكحول.
ويرجع سبب ذلك إلى سوء التغذية وانخفاض القدرة المناعية عند المدمنين.
لذا فإن هناك مقولة طبية شائعة بين الأطباء مفادها أنك إذا وجدت مرضاً في الرئة عند مدمن الخمر ففكر أولاً بمرض السل.
وفي عدة دراسات أجريت في العديد من بلدان العالم ومنها: الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا والدنمارك واستراليا ويوغسلافيا (سابقاً) ثبت بالدليل القاطع ارتفاع نسبة الإصابة بمرض السل لدى متعاطي الخمور، فقد وجد من بين تلك الدراسات التي أجريت في الولايات المتحدة أن (22.2) حالة من بين كل ألف مدمن يعانون من السل الرئوي مقارنة مع (0.4) حالة من بين كل ألف من الأشخاص العاديين.

أما في كندا فقد أثبتت الدراسة التي قام بها الباحث (أولين وزملاؤه) على بعض المساجين، أن نسبة انتشار مرض السل في أوساط المساجين من المدمنين تفوق (16) مرة نسبة انتشاره عند نفس العدد من المساجين من غير المدمنين على الكحول.

كما يتعرض المدمنون وخصوصاً أولئك المصابين بتليف الكبد للإصابة بالتهاب الصفاق الدرني (T.B.peritonitis). حيث يشعر المريض بانتفاخ وألم في بطنه مع ارتفاع في حرارة جسمه.

ومن بين المشكلات التي تواجه الأطباء في علاج مرضى السل المدمنين على الكحول ما يلي:

1 ـ عدم التزام المدمن بالسير على خطة العلاج.

2 ـ إذا أدخل المدمن إلى المستشفى، فإنه لا يلتزم بقوانين المستشفى ولا بالنصائح الطبية، بل نجده يحاول الخروج من المستشفى دون موافقة الطبيب.

3 ـ عند خروجه من المستشفى لا يلتزم المدمن بالاستمرار على العلاج، والجدير بالذكر أن علاج مرض السل يتطلب فترة طويلة (6 ـ 9 أشهر)، يتناول خلالها كمية كبيرة من الأدوية يومياً.

4 ـ يفقد الطبيب متابعة سير المرض عند المدمنين وذلك لعدم زيارتهم للطبيب بشكل دوري.

ونتيجة لعدم الاستمرار على العلاج وعدم أخذ المدمن للجرعة الكافية من العلاج، فإن البكتيريا المسببة لهذا المرض تصبح لديها مناعة ضد هذه الأدوية، ومن ثم يصعب القضاء عليها مما يؤدي إلى انتشار المرض، لذا فإن معظم الأوساط الطبية تكاد تجمع على دور مدمني الخمر في نشر داء السل في المجتمع.

والمعلوم طبياً أن هذا المرض يمكن أن يصيب معظم أجزاء الجسم إذا انتشر الميكروب عن طريق الدم.

وليس هذا فحسب، بل إن الكحول يزيد من الآثار الجانبية الناتجة عن بعض الأدوية المستخدمة في مكافحة السل. وخير مثال على ذلك ما يحدثه الكحول من زيادة في إصابة الكبد بالالتهاب مع استخدام عقار الأيزونايزايد (Isoniazide)، حيث ارتفعت نسبة الإصابة عند المدمنين بمعدل أربعة أضعاف مقارنة بغيرها من غير المدمنين، وهذا السبب دفع بعض الأطباء إلى عدم استخدام هذا العقار كعلاج وقائي عند المدمنين.

هـ ـ توقف التنفس أثناء النوم (Sleep abnea):

أثبتت بعض الدراسات الطبية أن ارتفاع نسبة توقف التنفس أثناء النوم يمكن أن تحدث نتيجة احتساء كمية كبيرة من الكحول قبل النوم.

ويعود السبب في ذلك إلى تأثير الكحول التثبيطي على الجهاز العصبي.

و ـ المضاعفات الرئوية التي تحدث نتيجة تليف الكبد الكحولي:

1ـ نقص الأكسجين في الدم (Hypoxemia):

ويعتبر من أهم المضاعفات التي تنتج عن تليف الكبد الناتج عن الإدمان على تعاطي الخمور، ومن أسباب حدوث نقص الأكسجين ما يلي:

أ ـ استسقاء البطن (الحبن) (Ascites)، حيث تنتفخ البطن بشكل كبير فيصبح التنفس عسيراً على المريض، مما يؤدي إلى تضيق المجاري التنفسية، فتقل بذلك كمية الأكسجين الواصلة إلى الدم.

ب ـ الارتشاح البلوري (Pleural effusion). حيث تتجمع السوائل حول الرئتين مما يعيق عملية تبادل الغازات بين الحويصلات الهوائية (الأسناخ) والأوعية الدموية الرئوية.

ج ـ تكون تحويلات دموية (Vascular shunts) في داخل الرئتين مما يجعل الدم يتحاشى المرور (bypass) في الأوعية الدموية الرئوية التي جعلها الله تعالى محيطة بكل حويصلة هوائية حتى يتم تبادل الغازات بينهما في نظام بديع محكم، قال تعالى: (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) (النمل: 88) فإذا حيل بين عملية التبادل هذه، فإن تشبع الدم بالأكسجين يقل، مما ينتج عنه نقص الأكسجين لدى جميع خلايا الجسم.

2ـ القلوية التنفسية (Respiratory Alkalosis):

وتحدث غالباً نتيجة إصابة المدمن بنوبات من التنفس السريع (Hyper ventilation) مما ينتج عن ذلك طرد كمية كبيرة من غاز ثاني أكسيد الكربون، والذي يلعب دوراً مهماً في تعادل قلوية الدم.

وتكون نتيجة ذلك نقص الصوديوم والكالسيوم والماغنسيوم الأمر الذي يؤدي إلى إصابة المريض بالتشنج والتكزز.

وقد لوحظ حدوث هذه الحالة لدى مدمني الخمور عند توقفهم المفاجئ عن تعاطي الخمور بعشر ساعات.

3 ـ التهاب الحويصلات الهوائية التليفي: (Fibrosing alveolitis):

4 ـ ارتفاع ضغط الدم في الدورة الدموية الرئوية: (Pulmonary hypertension):

ز ـ المضاعفات الرئوية التي تحدث نتيجة التهاب البنكرياس:

يتسبب التهاب البنكرياس الناتج عن تعاطي الخمور في إصابة (9 ـ 13%) من مدمني الخمور بوذمة الرئتين الحادة (Acute pulmonary edema) والتي تعرف بمتلازمة إعاقة التنفس عند الكبار (ARDS)، والتي قد تؤدي إلى هبوط وفشل في عملية التنفس، وتكون الوفاة قاب قوسين أو أدنى من المريض ـ بإذن الله.

ويعود سبب ذلك إلى تأثير أنزيمات البنكرياس ـ التي تحررت في الدم نتيجة لالتهاب البنكرياس ـ والتي تقوم بتدمير كل نسيج يقف في طريقها ومن ضمنها أنسجة الرئتين.

اضرار الميسر الدنيوية:-

تعريف الميسر:-

يقول المناطقة إن الحكم على الشيء فرع عن تصوره،
وعليه فأول ما يجب علينا في معرض الكلام
عن الميسر هو أن نذكر تعريف الميسر حتى ندرك حقيقته
و نميز أنواعه المختلفة، و ما يدخل في حكمه و ما لا يدخل مما يستجد من معاملات وتحدث من تصرفات.

هناك تعريفات كثيرة ومتنوعة عن العلماء للميسر، وهذه بعضها:

1- قول بن عمر وبن عباس رضي الله عنهم (الميسر هو القمار) [1].

2- قول الزهري عن الأعرج
(الميسر هو الضرب بالقداح على الأموال و الثمار).

3- قول القاسم بن محمد
(كل ما ألهى عن ذكر الله وعن الصلاة فهو من الميسر).

4- قول ابن سيرين
(كل لعب فيه قمار من شرب أو صياح أو قيام فهو من الميسر).

5- قول السعدي(هو كل المغالبات التي يكون فيها عوض من الطرفين من النرد و الشطرنج، و كل مغالبة قولية أو فعلية بعوض) .

6- قول الشيخ يوسف القرضاوي

(هو كل ما لا يخلوا اللاعب فيه من ربح أو خسارة)
و هذه التعريفات الاصطلاحية للميسر من علماء الإسلام من السلف و الخلف - رحمهم الله - كلها صحيحة إن شاء الله،
غير أنها تبدو من تنوعها مختلفة أو متباينة،
و الحقيقة أنها غير متباينة فكلهم قد عرف الميسر
إما بذكر مرادف له كما فعل من عرفه بالقمار،
أو بذكر نوع من أنواعه كالضرب بالقداح على الأموال و الثمار،
أو بذكر بعض لوازمه و نتائجه كذكر الشرب و الصياح و غيرهما مما يصحب الميسر من الملهيات عن الذكر و الصلاة،
أو بذكر ماهيته كما هو في تعريف كل من السعدي و القرضاوي.

الميسر في العصر الحديث:

و في عصرنا الحديث تنوعت آلات الميسر و تعددت صنوفها حتى فاقت الحصر أو كاد،
و قد تفاقم الأمر مع تطور وسائل الإعلام و الاتصال،
فخاطر الناس و تغالبوا في المبارات الرياضية بين الفرق،
و عبر الشبكة العالمية (الإنترنت)،
و رسائل الجوال القصيرة، و المسابقات في القنوات التلفزيونية و الإذاعية،
و ربما سموها ألعابا أو جوائز أو غيرها من الأسماء اللامعة،
و هي لا تغير من حقيقتها شيئا.
فكل ذلك من الميسر و القمار المحرم شرعاً، إذ توفرت فيها كل أركان الميسر.

أركان الميسر:

1ـ لاعبين:-

هما المشارك أو المشاركون في اللعبة أو المسابقة من جهة،

و المنظم للعبة أو المسابقة من جهة أخرى
و قد يكون شخصا واحدا أو شركة.

2ـ و من آلة الميسر:

و هي المسابقة أو اللعبة مثل مباراة رياضية بين فريقين،
أو سباق بين خيول، أو مصارعة بين رجلين،
أو إرسال رسالة قصيرة من الهاتف الجوال إلى الرقم الفلاني تتضمن كلمة معينة ثم تتم القرعة بين المرسلين فمن خرج سهمه كان هو الفائز.

3ـ و من المال:

الذي يياسر به الطرفان و هو ما يشتريه اللاعب من أوراق،
أو تكلفة المكالمة الهاتفية من جهة اللاعب المتصل،
أو تكلفة الرسالة القصيرة التي يرسلها،
و ما ينفقه الشخص أو الشركة المنظمة للعبة أو المسابقة من أموال يدفعها إلى شركات الاتصال أو وسائل الإعلام.

4ـ و نتيجة اللعبة:

التي لا بد أن تكون خسارة أو ربحا كنتيجة كل أنواع الميسر القديمة والحديثة، ومما يميز الميسر في عصرنا الحديث أن الخاسر دائما هو جهة واحدة و هي الأضعف و هو من يجمع دراهمه و دنانيره من الفقراء و المساكين و من أصحاب الدخل المتوسط،
و يُخْدعون بتخصيص نزر يسير مما جمع من أموالهم ليدفع إلى واحد أو إثنين منهم، فيصدقون بعقولهم العفنة أن ذلك فائز !!!،
أما الشخص المنظم للعبة أو المسابقة فلن يخسر شيئا بحال من الأحوال،
إلا ما يخسره من دينه و ذلك شر الخسائر

قال تعالى { قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين }.

حكم الميسر في الشريعة الإسلامية:

(إن الإسلام يريد من المسلم أن يتبع سنن الله في اكتساب المال،
و أن يطلب النتائج من مقدماتها،
و يأتي البيوت من أبوابها،
و القمار يجعل الإنسان يعتمد على الحظ و الصدفة و الأماني الفارغة،
لا على العمل والجد و احترام الأسباب التي وضعها الله و أمر باتخاذها.
و الإسلام يجعل لمال الإنسان حرمة
فلا يجوز أخذه منه إلا عن طريقة مبادلة مشروعة،
أو عن طيب نفس منه بهبة أو صدقة،
أما ما أخذ بالقمار فهو من أكل المال بالباطل).
وقد دل على حرمة الميسر نصوص من القرآن و السنة.

و من الأدلة القاضية بتحريم الميسر من القرآن:

1- قوله تعالى { يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما }
و هذه الآية و إن لم تصرح بتحريم الخمر و الميسر ففيها تمهيد للنهي عنها،
بل إن بعض الصحابة قد أقلع عن الشرب بمجرد نزول هذه الآية،
و يفهم من ذلك أنه لو كان من متعاطي الميسر فيتركه كما ترك الخمر،
قال ابن كثير رحمه الله تعالى
(و لهذا كانت هذه الآية ممهدة لتحريم الخمر على البتات
و لم تكن مصرحة بل معرضة،

و لهذا قال عمر لما قرئت عليهم اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا حتى نزل التصريح بتحريمه في سورة المائدة...).

و من القواعد الشرعية أن ما زادت مفسدته على مصلحته حرمت،

و مفسدة الميسر لا شك أنها أكثر من مصلحته بنص القرآن الكريم.

2- قوله تعالى {يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون }.

ففي الآية الكريمة من صيغ التحريم وصف الميسر بأنه:

{ رجس من عمل الشيطان}

مما يدل على تحريمه و أنه من الكبائر، والرجس وصف لكل الأعيان الخبيثة خبثا معنويا أو ماديا قال تعالى عن المأكولات الخبيثة

{ قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به }

وقال سبحانه عن الخبثاء من الناس { سيحلفون لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم إنهم رجس }

و سمى عذابه رجسا

فقال{ قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب } [13]،

و كذلك الأمر باجتنابه في قوله تعالى

{فاجتنبوه }

و اجتناب الشيء هو التباعد عنه بأن تكون في غير الجانب الذي هو فيه [14]،

و من اجتنب شيئا و ابتعد منه لم يتعاطاه ،

و من صيغ تحريم الميسر أيضا الأمر بالانتهاء منه { فهل أنتم منتهون }

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله

(فهو أبلغ في الزجر من صيغة الأمر التي هي: انتهوا...) [15].

3- قوله تعالى { ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون } [16]

قال السعدي رحمه الله

(ولا تأكلوا أموالكم أي أموال غيركم أضافه إليهم لأنه ينبغي على المسلم أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويحترم ماله كما يحترم ماله، ولأن أكله لمال غيره يجرئ غيره على أكل ماله عند القدرة...) [17]

ثم ذكر نوعي أكل أموال الناس الحق و الباطل فعلق على النوع الأخير بقوله

(فلا يحل ذلك بوجه من الوجوه حتى و لو حصل فيه النزاع وحصل الارتفاع إلى حاكم الشرع و أدلى من يريد أكلها (الأموال) بالباطل بحجة غلبت حجة المحق

و حكم له الحاكم بذلك فإن حكم الحاكم لا يبيح محرما و لا يحلل حراماً، إنما يحكم على نحو ما يسمع،

و إلا فإن حقائق الأمور باقية فليس في حكم الحاكم للمبطل راحة و لا شبهة و لا استراحة...) [18].

قلت: و هذا في حالة ما لم يكن الحاكم هو الداعي إلى ما يتم بواسطته أكل أموال الناس بالباطل من صور الميسر المنظم، التي تسخر له جميع الإمكانيات الدستورية و الإعلامية و غيرها حتى قد يخيل للعوام أنه أصبح من الجائز كسائر أنواع المعاوضات

و أما الأدلة على تحريم الميسر من السنة فمنها ما يلي:

1- عن بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنهما قال:قال رسول الله ﷺ

(من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه) [19]

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى

(قال العلماء النردشير هو النرد و شير معناه حلو،

وهذا الحديث حجة للشافعي والجمهور في تحريم اللعب بالنرد وقال أبو إسحاق المروزي من أصحابنا يكره ولا يحرم،

وأما الشنطرنج فمذهبنا أنه مكروه و ليس بحرام

و هو مروي عن جماعة من التابعين،

و قال مالك وأحمد حرام قال مالك هو شر من النرد و ألهى عن الخير،

وأصحابنا يمنعون القياس ويقولون هو دونه،

و معنى (صبغ يده في لحم خنزير ودمه)

في حال أكله وهو تشبيه لتحريمه بتحريم أكلهما والله أعلم [20]،

و لا شك أن موضع الخلاف بين الأئمة هو الآلات المختلفة من نرد أو شطرنج وغيرهما من الملهيات، وليس فيما يخالطه من المغالبة بمال ونحوه فإن ذلك محرم بنص القرآن و لم ينقل عن أحد من الأئمة القول بجوازه والله أعلم.

2- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ

(من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله) [21].

و ذكر الزرقاني من أسباب تحريمه وكونه معصية لله و رسولهﷺ
أن أول من وضعه هو سابور بن أردشير
و فعله إتباع لسنة المجوس المنهي عن إتباعها.[22]
3- ما رواه البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول اللهﷺقال
(إن الله حرم عليكم الخمر والميسر والكوبة) [23]
و الحديث تأكيد لما ورد في سورة البقرة و سورة المائدة من تحريم الميسر،
و الكوبة هي الطبل، و قيل هي النرد و قيل الشطرنج.[24]
<u>تنبيه و تفصيل:</u>
نود أن ننبه إلى أن الميسر هو كما قال السعدي
(هو كل المغالبات التي يكون فيها عوض من الطرفين من النرد والشطرنج، وكل مغالبة قولية أو فعلية بعوض) [25]
أو كما عرف الشيخ يوسف القرضاوي
(هو كل ما لا يخلوا اللاعب فيه من ربح أو خسارة)
أيا كان نوع ذلك الميسر أو آلته،
إذ العبرة كما يقول الأصوليون بالحقائق و المعاني و ليس بالألفاظ و المباني.
ثم إن الخلاف الذي يحكى عن العلماء في تحريمه أو كراهته أو حتى إباحة بعض صوره تابع لدخول الصورة المسئول عنها في الميسر أو عدم دخوله،
ووجود بعض علل التحريم في الصورة كالإلهاء عن:-
ذكر الله وعن الصلاة أو ضياع الوقت و نحوها أو عدمه،
فما كان فيه مخاطرة أو خسارة و ربح فهو محرم،
و ما سلم من ذلك و ألهى عن ذكر الله و عن الصلاة
و أدى العداوة والبغضاء حرم لذلك،

و أما ليس من الأول ولا من الثاني من أنواع الألعاب و المغالبات تردد بين الإباحة و الكراهة.

أضرار الميسر الدينية و الدنيوية:

أن التعرف على الحكم التشريعية فيما يأمر به الإسلام أو ينهى عنه لاسيما فيما يتعلق بأمور المعاملات لما ينشط على الالتزام بشرع الله ويعين عن الانقياد له ،

و لذلك عودنا الشارع الحكيم الإشارة إلى بعض تلك الحكم،

و من ذلك ما نص الله عليه في القرآن الكريم

و أشار إليه الرسول ﷺ في السنة المطهرة من مفاسد و أضرار الميسر في الدين و الدنيا و على الفرد و المجتمع،

و هذه جملة من تلك المفاسد و الأضرار في مطلبين:

أضرار الميسر الدينية:

هناك مفاسد دينية كثيرة تترتب من تعاطي الميسر والقمار ومنها:

1- أن في الميسر إثما كبيراً:-

قال تعالى { يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع و إثمهما أكبر من نفعهما}،

و هذا يقتضي كونه حراما في الشريعة الإسلامية إذ الحرام هو

(المنهي عنه على الجزم، المثاب على تركه، والمعاقب على فعله، وهو مأخوذ من الحرمة وهي ما يحرم انتهاكه) [26]،

وقد سقنا فيما مضي من الأدلة القاضية على تحريم الميسر من الكتاب والسنة ما يغني عن إعادته هنا.

فتعاطي الميسر إذن عمل يستحق فاعله عقاب الله تعالى ويعرضه لسخطه، وإثم الميسر أعظم بكثير مما قد يحصله من المال وعرض الدنيا الزائل لقوله تعالى { وإثمهما أكبر من نفعهما }،

والله تعالى لم يجعل الحرام طريقا للكسب ولا سببا للسعادة في الدنيا، ولذلك رد على من ساوى بين البيع والربا فقال سبحانه

{ وأحل الله البيع وحرم الربا } [27]،

بل إن تقوى الله تعالى وفعل أوامره واجتناب نواهيه هي سبب كل خير في الدنيا والآخرة

قال تعالى { إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين } [28]

وقال تعالى { ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب } [29]وقال تعالى {ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا} [30]

وقال تعالى { ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا } [31]

2- إن الميسر قرين الشرك وشرب الخمر : -

وهذه الصفة مما يزيد قبحه شرعا، فالمنهيات على درجات،

و اقتران منهي من المنهيات بأكبر الكبائر في الذكر يزيده قبحا و سوء،

و قد نهى الله عن الميسر و قرنه بكبائر أخرى و على رأسها الشرك بالله تعالى فقال {إنما الخمر والميسر والأنصاب و الأزلام...} الآية.

و الأنصاب عند غير واحد من السلف حجارة كانوا يذبحون قرابينهم عندها، وأما الأزلام فهي قداح كانوا يستقسمون بها [32]،

و كل ذلك من الشرك وهو أعظم ما عصي الله به ولا يغفر الله لمن مات عليه قال تعالى{ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا } [33].

و لعل من حكم اقتران الميسر بالشرك و الخمر بيان شناعته لمن تزين له نفسه تعاطيه،

فإن كثيرا من الناس لانتشار الميسر و كثرة المبتلين به من العوام و الخواص، وما يتعود من سماع أو قراءة أخباره في وسائل الإعلام قد يهون عليه خطره و يسهل عليه اقترافه مع أنه قد يمتنع عن شرب الخمر و قد لا يشرك بالله تعالى،

و هذا منتهى الغباوة و الغفلة فما الفرق بين أنواع المعاصي،

إذا كانت كلها تعبر عن استهانة بأمر الله ورسوله،

و تكشف عن ضعف في الإيمان يعاني منه الإنسان.

2- إن الميسر رجس: قال تعالى { إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس...} الآية

(والرجس في كلام العرب كل مستقذر تعافه النفس، وقيل إن أصله من الركس وهو العذرة والنتن) [34]

و القذارة أو النجاسة قد تكون حسية أو معنوية

و مثال الأول الأعيان النجسة فقد روي أن النبي ﷺ أتي بحجرين و روثة فأخذ الحجرين و ألقى الروثة فقال إنها ركس [35]،

و أما القذارة أو النجاسة المعنوية فمثل الكفار و المشركين الذين قال الله تعالى فيهم { إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا }[36]

و ظاهر النصوص الواردة في ذم الميسر من القرآن و السنة يدل على نجاسته الحسية والمعنوية معا، مما يوجب على المسلم التنزه عن تعاطيه و ملامسة آلاته، و غشيان مجالسه.

و كون الميسر رجسا يقتضي كون ما يحصله الإنسان من المال بواسطته خبيثا مثل مهر البغي و حلوان الكاهن،

و لا يقبل الله منه صرفا و لا عدلا،

فلو حج به، أو تصدق به على الفقراء و المساكين، أو بنى به مساجد، أو وقف أوقافا، فكل ذلك لا يقبله الله منه، و أكله من هذا المال قد يجعل دعوته غير مستجابة، لقوله ﷺ فيما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال (إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر المرسلين فقال { يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم } [37]

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام وملبسه حرام، وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك) [38]

4- إن الميسر من عمل الشيطان:

قال تعالى في وصف الخمر والميسر... { رجس من عمل الشيطان }

(الذي هو أعدى الأعداء للإنسان،

و من المعلوم يحذر منه و يحذر مصائده و أعماله خصوصا الأعمال التي يعملها ليوقع عدوه فإن فيها هلاكه،

فالحزم كل الحزم البعد عن عمل العدو المبين

و الحذر منها والخوف من الوقوع فيها) [39].

و الشيطان حريص على إغواء بني آدم و إبعادهم عن رحمة الله بما يزين لهم من الشرك وسائر المعاصي

{ قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين } [40]

و للشيطان في إغواء الناس وسائل و أساليب مختلفة فهو يستفزز من استطاع بصوته و يجلب عليهم بخيله ورجله

{قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزائكم جزاء موفورا واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا } [41]

و مما يعدهم الشيطان الفقر فيقول لهم إن أنتم التزمتم بشرع الله في البيع والشراء وسائر وسائل الكسب لافتقرتم،

فالربا و الميسر و الغش و السرقة مما لا بد منه في زمننا هذا قال تعالى

{الشيطان يعدكم الفقر والله يعدكم مغفرة منه وفضلا }. [42]

5- إن الميسر من موانع الفلاح:

و من أضرار الميسر أنه من موانع الفلاح،

و ذلك بمجرد ارتكابه بدون استحلال فيمنع من مطلق الفلاح لما يسحقه من يلعب بالميسر من غضب الله و عذابه لأنه من كبائر الإثم،

و يمنع من الفلاح مطلقا إذا استحل الميسر و كذب الله و رسوله،

و رمى الشريعة بالضيق و القصور فيخرج بذلك من الإسلام،

و يستحق الخلود في النار و العياذ بالله، قال تعالى

{ بلى من كسبت سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون } [43].

و إذا تأملنا في حالة كثير من البلاد التي ابتلاهم الله بهذه العادة السيئة وجدناهم وصلوا إلى هذه الدرجة من محاربة الله ورسوله،

حيث أذنت الحكومات بممارستها و نظمت عملياتها،

و صنفت مؤسساتها من مؤسسات التنمية الوطنية،
و تنشر أخبارها وإعلاناتها في مختلف وسائل الإعلام،
و الأشد من ذلك ما تشهده من سكوت تام للعلماء و الدعاة عن إنكار هذا المنكر و محاربته،
حتى ليخشى أن يعم الله الجميع بمؤاخذته إذا جازى عباده بما يقترفون، اللهم غفرا.

6- إن الميسر يصد عن ذكر الله وعن الصلاة:

إن متعاطي الميسر يهدرون أوقات غالية في ممارسة اللعب بوسائل الميسر من أوراق أو كعاب و غيرها...،
و بمتابعة أخبار الفائزين و الخاسرين، و يضيعون الجمع و الجماعات،
و يعرضون عن مجالس ذكر الله و حلق العلم،
و يغفلون عن المواعظ وعن تذكر الموت وعذاب القبر وعن أهوال الآخرة،
فتصبح معيشتهم ضنكا بما يخسرون من أموالهم و بما يضيعون من أعمارهم ويفوتون من مصالحهم، ويحشرون يوم القيامة - إن لم يغفر الله لهم - عميانا إلى عذاب الله وغضبه قال تعالى
{ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى } [44].

و من الملاحظ أن أكثر الناس تعاطيا للميسر هم الجهال و العصاة قاصري العقول من الناس،
و يقل فيهم المثقفون ومرتادي المساجد وحلق الذكر مصداقا لقوله تعالى { وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون } [45]

قال أبو العالية (إن الصلاة فيها ثلاث خصال فكل صلاة لا يكون فيها شيء من هذه الخلال فليست بصلاة: الإخلاص، والخشية، وذكر الله، فالإخلاص يأمره بالمعروف، والخشية تنهاه عن المنكر، وذكر الله القرآن يأمره وينهاه...) [46].

مفاسد الميسر الدنيوية:

كما أن للميسر مفاسد تتعلق بدين المرء و تعرضه لغضب الله و عذابه يوم القيامة،

فكذلك فإن له مفاسد تتعلق بالحياة الدنيا فتعكرها وتنغص صفوها، وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض تلك المفاسد، كما أن بعضها مشاهدة وملموسة من واقع الحياة اليومية للمشتغلين بالميسر،

و هذه بعض تلك المفاسد الدنيوية:

1- إن الميسر يسبب العداوة والبغضاء بين الناس:-

يعد التآلف و التحابب بين أفراد المجتمع الواحد من عوامل قوة ذلك المجتمع وأسباب تقدمه ونموه، لأنهم يكونون كالجسد الواحد، كما وصف رسول الله ﷺ المجتمع الإسلامي الملتزم بتعاليم الكتاب والسنة

(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) [47]

و مجتمع كهذا يتعاون أفراده على كل بر يعين على مصالح الدنيا وكل تقوى ترضي الله و رسول الله ﷺ، قال النووي معلقا على الحديث

(هذه الأحاديث صريحة في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض، وحثهم على التراحم والتلاطف والتعاضد في غير إثم ولا مكروه). [48]

والميسر بأنواعه وأشكاله عادة سيئة تؤدي انتشاره في المجتمع إلى العداوة والبغضاء قال تعالى

{ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة في الخمر والميسر }
و قال الإمام الطبري رحمه الله
(يقول تعالى ذكره إنما يريد لكم الشيطان شرب الخمر والمياسرة بالقداح ليعادي بعضكم بعضا ويبغض بعضكم إلى بعض فيشتت أمركم بعد تأليف الله بينكم بالإيمان وجمعه بينكم بأخوة الإسلام) [49].
و وجه ذلك - والله أعلم - أن الميسر لا يخلوا من ربح أو خسارة،
و كلاهما حاصل على نحو باطل لا يقره دين و لا عقل،
و ليس كربح التجارة أو خسارتها، لأن التاجر المسلم أو العاقل يعترف بقضاء الله و قدره،
و يسلم بنهاية الصفقات حسب المقدمات الصحيحة التي تمليها طبيعة العرض و الطلب،
أما المقامر فيسعى وراء خيال و سراب و يركض خلف حظ موهوم،
حتى إذا جاءه لم يجده شيئا، فيعض على أنامل الحسرة،
و يلتفت فإذا حوله مياسروه يسخرون بملء أفواههم لما ربحوه من أموال الناس بالباطل،
فهل بعد ذلك يتصور بين الفريقين مودة أو رحمة، لا و هيهات !!
2- إن الميسر من عوامل انتشار البطالة.
الواجب على الحكومات و الدول الناصحة لرعاياها أن توفر لها فرصا حقيقية للعمل و التكسب،
و ذلك بإقامة مصانع كافية تستوعب السواعد القوية من المواطنين
و الكفاءات العالية من الباحثين و العلماء،
و إيجاد مزارع واسعة تكفي الفلاحين و المزارعين،
و تيسير تجارة رائجة يصفق بها الأغنياء في الأسواق،

فتتحقق الكفاية لعامة الشعب و تقل البطالة، و تقضى على الجريمة و يعم الأمن في ربوع البلاد.

قال الشيخ الطاهر بن عاشور رحمه الله

(والمقصد الشرعي في الأموال كلها خمسة أمور: -

رواجها، و وضوحها، و حفظها، و ثباتها، و العدل فيها)

فالرواج دوران المال بين أيدي أكثر من يمكن من الناس بوجه حق،

قال تعالى { وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله}[50]

وقال النبي ﷺ:-

(ما مسلم يزرع زرعا أو يغرس غرسا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلا كان له به صدقة) [51]

و قال أيضا { إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها } [52]...) [53].

و لا شك أن الميسر لا تمت إلى واحد من هذه المقاصد بصلة،

بل إن شيوعه في المجتمع يعطل الصناعات و يخسر التجارات و تهلك المزارع، كيف لا،

و الشياطين تعد الشذج من الناس بالغنى الفاحش و الثراء الطاغي بمجرد مشاركة في لعبة الميسر،

و لذلك فإنك لا تدخل مصنعا إلا وجدت العمال منهمكين وفي أوقات العمل على أوراق الميسر،

و لا ترى مزارعا إلا وفي يده تلك الأوراق،

و كذلك التجار في الأسواق، و الأطباء في المشافي،

فمتى يتفرغ هؤلاء لما هم مهيئون له من واجبات !!

3- إن الميسر يساهم في تفشي الجريمة.

إن صالات القمار، أو قل إن مجتمعات القمار لا تخلوا في أغلب الأحيان من جرائم السرقة والقتل و من الشرب و الخلاعة و الميوعة،
قال بن سيرين في تعريف الميسر
(كل لعب فيه قمار من شرب أو صياح أو قيام فهو من الميسر) [54].
أما السرقة فلأن المشاهد للعبة الخمار
و كيف يخسر هذا بسرعة و كيف يربح ذلك في طرفة عين تستهويه العملية فيود المشاركة فيها بأي طريق ممكن،
و غالبا ما يلجأ إلى السرقة لإشباع تلك الرغبة العارمة،
و اعتبر ذلك في الأولاد الذين يتقامرون بالجوز و الكلل وغيرها،
فإنهم يسرقون الأموال من آبائهم و أمهاتهم
ليشترون بها تلك الأغراض التي يتقامرون بها مع زملائهم.
و أما القتل فلما يسوء بعضهم أن يذهب ماله هباء في دقيقة واحدة
و ربما تعب و كد في تحصيله، فيشتاط غضبا،
فينتحر هو، أو يقتل أصحابه ليسترد ما ذهب من ماله.
أما الشرب و الخلاعة و الميوعة فهو نصيب الفائز الخاسر من المقامرين،
لإن الله تعالى يمحق الربا و يربي الصدقات،
فالمال الحلال يسهل إنفاقه في الوجه الحلال بل الواجب و المندوب،
و أما المال الحرام فيستهلكه صاحبه فيما يضره من شهوتي الفرج و البطن،
و لهذا فإن صالات القمار في أغلب الأحيان أوكار للرذيلة و المخدرات.

4- في الميسر أكل لأموال الناس بالباطل:

و من مقصود الشارع في الأموال أيضا كما يقول بن عاشور رحمه الله
(الوضوح، و الحفظ، و العدل، و الإثبات)
و يستمر - رحمه الله - في شرح تلك المقاصد قائلا:

(و أما وضوح الأموال فذلك إبعادها عن الضرر و التعرض للخصومات بقدر الإمكان، و لذلك شرع الإشهاد و الرهن في التداين،
و أما حفظ المال فأصله قول الله تعالى
{ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل...} [55]
وقال النبي ﷺ
(لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس) [56]
أما إثباتها فهو تقريرها لأصحابها بوجه لا خطر فيها و لا منازعة،
أما العدل فيها فذلك بأن يكون حصولها بوجه غير ظالم
و ذلك إما أن تحصل بعمل مكتسبها،
و إما بعوض من مالكها أو بتبرع
و إما بإرث و من مراعاة العدل حفظ المصالح العامة و دفع الأضرار) [57].
و مال الميسر كسب رخيص يكتنفه الغموض من كل جانب،
و لا يعرف الرابح من أين جاءه الربح و لا يدري الخاسر من أين أتاه الخسران،
و لا يمكن تقريره بوجه لا منازعة فيها،
و لذلك يدلون إلى الحكام ليأكلوا فريقا من أموال الناس بالباطل،
أما مقصد العدل فهو أبعد المقاصد عن الميسر،
فالميسر هو الظلم بعينه، إذ بواسطته يأكل الناس بعضهم أموال بعض بغير وجه حق،
و مهما قال لك المقامر في حرية ممارسته لهذه العادة السيئة،
فإنه لا يطيب نفسا بما يخسر من مال.

[13] - الأعراف:71
[14] - أضواء البيان 2 / 405 تأليف الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ط دار الفكر - بيروت 1415 هـ
[15] - المصدر نفسه 2 / 405

[16] - البقرة: 188
[17] - تفسير السعدي ص 88
[18] المصدر نفسه ص 88
[19] صحيح مسلم 4/ 1770 ط دار إحياء التراث العربي - بيروت
[20] - شرح النووي على مسلم 15 / 16 ط دار إحياء التراث العربي - بيروت 1392 هـ
[21] - رواه الحاكم في المستدرك، وقال (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)1 / 114 لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري ط دار الكتب العلمية - بيروت 1411هـ ورواه غيره.
[22] شرح الزرقاني على الموطأ 4 / 455 لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني ط دار الكتب العلمية - بيروت 1411 هـ
[23] - سنن البيهقي الكبرى 10 / 213 للإمام البيهقي نشر / مكتبة دار الباز - مكة المكرمة 1414 هـ
[24] انظر: لسان العرب 1 / 729 لابن منظور ط دار صادر ـ بيروت
[25] - تفسير السعدي ص 98
[26]- روضة الناظر وجنة المنتظر 1 / 126 للشيخ عبد القادر بن أحمد بن بدران ط مكتبة المعارف - الرياض
[27] - البقرة: 275
[28] - يوسف: 90
[29] - الطلاق: 2
[30] - الطلاق:4
[31] - الطلاق: 5
[32] تفسير القرآن العظيم 2 / 93
[33]- النساء
[34] أضواء البيان 1 / 426
[35] صحيح البخاري 1/ 70 ط دار ابن كثير - بيروت 1407 هـ
[36] - التوبة: 28
[37] - المؤمنون: 51
[38] - صحيح مسلم 2 / 703 ط دار إحياء التراث العربي - بيروت
[39] - تيسير الكريم المنان للسعدي 243
[40] - الأعراف 16، 17
[41] الإسراء: 63، 64
[42] سورة البقرة 268
[43] -سورة البقر: 81
[44] - طه: 124
[45] - العنكبوت: 45
[46] - تفسير القرآن العظيم 3 / 416

[47] - صحيح مسلم 4 / 1999
[48] - شرح النووي على مسلم 16 / 139
[49] - تفسير الطبري 7 / 32
[50] سورة المزمل الآية 20
[51] - رواه البخاري ومسلم.
[52] - البقرة: 122
[53] - مقاصد الشريعة الإسلامية ص 464 تأليف العلامة محمد الطاهر بن عاشور ط دار النفائس للنشر والتوزيع – الأردن 1421 هـ
[54] - تفسير الطبري 2 / 385 للإمام محمد بن جرير الطبري – مصدر سابق
[55] سورة النساء الآية 29
[56] - سنن الدارقطني 3 / 26 ط دار المعرفة – بيروت 1386 هـ
[57] مقاصد الشريعة الإسلامية ص 473 فما بعدها (بتصرف)
[58]- المائدة: 90، 91

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ
حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ
ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ
ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا
تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ
أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ
وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ
﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ
عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ
حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾

***** صحيح مسلم**

(1935) عَنْ جَابِرٍ، قَالَ:-

بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺوَ أَمَّرَ عَلَيْنَا أَبَا عُبَيْدَةَ،
نَتَلَقَّى عِيراً لِقُرَيْشٍ، وَ زَوَّدَنَا جِرَابًا مِنْ تَمْرٍ لَمْ يَجِدْ لَنَا غَيْرَهُ،
فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يُعْطِينَا تَمْرَةً تَمْرَةً،
قَالَ: فَقُلْتُ: كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ بِهَا؟
قَالَ: نَمَصُّهَا كَمَا يَمَصُّ الصَّبِيُّ، ثُمَّ نَشْرَبُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ،
فَتَكْفِينَا يَوْمَنَا إِلَى اللَّيْلِ، وَ كُنَّا نَضْرِبُ بِعِصِيِّنَا الْخَبَطَ، ثُمَّ نَبُلُّهُ بِالْمَاءِ فَنَأْكُلُهُ،
قَالَ: وَ انْطَلَقْنَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ،
فَرُفِعَ لَنَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ كَهَيْئَةِ الْكَثِيبِ الضَّخْمِ،
فَأَتَيْنَاهُ فَإِذَا هِيَ دَابَّةٌ تُدْعَى الْعَنْبَرَ،
قَالَ: قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: مَيْتَةٌ،
ثُمَّ قَالَ: لَا، بَلْ نَحْنُ رُسُلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَ فِي سَبِيلِ اللهِ،
وَ قَدِ اضْطُرِرْتُمْ فَكُلُوا،
قَالَ: فَأَقَمْنَا عَلَيْهِ شَهْرًا وَ نَحْنُ ثَلَاثُ مِائَةٍ حَتَّى سَمِنَّا،
قَالَ: وَ لَقَدْ رَأَيْتُنَا نَغْتَرِفُ مِنْ وَقْبِ عَيْنِهِ بِالْقِلَالِ الدُّهْنَ،
وَ نَقْتَطِعُ مِنْهُ الْفِدَرَ كَالثَّوْرِ، أَوْ كَقَدْرِ الثَّوْرِ،
فَلَقَدْ أَخَذَ مِنَّا أَبُو عُبَيْدَةَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا،فَأَقْعَدَهُمْ فِي وَقْبِ عَيْنِهِ،
وَ أَخَذَ ضِلَعًا مِنْ أَضْلَاعِهِ فَأَقَامَهَا ثُمَّ رَحَلَ أَعْظَمَ بَعِيرٍ مَعَنَا،
فَمَرَّ مِنْ تَحْتِهَا وَ تَزَوَّدْنَا مِنْ لَحْمِهِ وَشَائِقَ
فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ أَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ،
فَقَالَ: «هُوَ رِزْقٌ أَخْرَجَهُ اللهُ لَكُمْ، فَهَلْ مَعَكُمْ مِنْ لَحْمِهِ شَيْءٌ فَتُطْعِمُونَا؟»،
قَالَ: فَأَرْسَلْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺمِنْهُ فَأَكَلَهُ( )

(عيرا) العير هي الإبل التي تحمل الطعام وغيره

***سنن أبي داود

83 عن أَبِي هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺفَقَالَ:-

يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَرْكَبُ الْبَحْرَ، وَ نَحْمِلُ مَعَنَا الْقَلِيلَ مِنَ الْمَاءِ،

فَإِنْ تَوَضَّأْنَا بِهِ عَطِشْنَا، أَفَنَتَوَضَّأُ بِمَاءِ الْبَحْرِ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ»

❍و لما كان الصيد يشمل الصيد البري و البحري،

استثنى تعالى الصيد البحري فقال: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾

أي: أحل لكم – في حال إحرامكم–

﴿صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾

و هو الحي من حيواناته،

(جرابا) بكسر الجيم وفتحها الكسر أفصح وهو وعاء من جلد

(نمصها) بفتح الميم وضمها الفتح أفصح وأشهر

(الخبط) ورق السلم

(الكثيب) هو الرمل المستطيل المحدودب

(وقب) هو داخل عينه ونقرتها

(بالقلال) جمع قلة وهي الجرة الكبيرة التي يقلها الرجل بين يديه أي يحملها

(الفدر) هي القطع

(كقدر الثور) رويناه بوجهين مشهورين في نسخ بلادنا أحدهما بقاف مفتوحة ودال ساكنة أي مثل الثور والثاني كفدر جمع فدرة والأول أصح

(رحل) أي جعل عليه رحلا

(وشائق) قال أبو عبيد هو اللحم يؤخذ فيغلى إغلاء ولا ينضج ويحمل في الأسفار يقال وشقت اللحم فاتشق والوشيقة الواحدة منه والجمع وشائق ووشق وقيل الوشيقة القديد]

(وَطَعَامُهُۥ)

و هو الميت منها، فدل ذلك على حل ميتة البحر.

(مَتَٰعًا لَّكُمۡ)

أي: الفائدة في إباحته لكم أنه لأجل انتفاعكم

(وَلِلسَّيَّارَةِۖ)و انتفاع رفقتكم الذين يسيرون معكم.

***جمع سيَّار للمسافرين و النائين عن البحر

(وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗاۗ)

و يؤخذ من لفظ « الصيد » أنه لا بد أن يكون:-

1-وحشيا،[لأن الإنسي ليس بصيد.]

2-و مأكولا [فإن غير المأكول لا يصاد و لا يطلق عليه اسم الصيد.]

(وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ)

أي: اتقوه بفعل ما أمر به، و ترك ما نهى عنه،

و استعينوا على تقواه بعلمكم أنكم إليه تحشرون. فيجازيكم،

هل قمتم بتقواه فيثيبكم الثواب الجزيل، أم لم تقوموا بها فيعاقبكم؟.

۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ

ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ

﴿٩٧﴾ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا
ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴿٩٩﴾

يخبر تعالى أنه (جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ)

***صير الله الكعبة البيت الحرام قِواما للناس الذين لا قوام لهم

من رئيس يحجز قويهم عن ضعيفهم

و مسيئهم عن محسنهم

و ظالمهم عن مظلومهم

فحجز بكل واحد من ذلك بعضهم عن بعض إذ لم يكن لهم قيام غيره

و جعلها معالم لدينهم و مصالح أمورهم

(وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ)

وحرّم العدوان و القتال في الأشهر الحرم

(و هي ذو القعدة و ذو الحجة و المحرم و رجب)

فلا يعتدي فيها أحد على أحد،

(وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ)

وحرّم تعالى الاعتداء على ما يُهدَى إلى الحرم من بهيمة الأنعام،

وحرّم كذلك الاعتداء على القلائد،

وهي ما قُلِّد إشعاراً بأنه بقصد به النسك؛

يقوم بالقيام بتعظيمه دينُهم و دنياهم، فبذلك:-

1-يتـــــــم إسلامهم،

2-و به تحـــــــــط أوزارهم،

3–و تحصـــــــــل لهم – بقصده – العطايا الجزيلة، و الإحسان الكثير،

و بسببه تنفق الأموال، و تتقحم – من أجله – الأهوال.

و يجتمع فيه من كل فج عميق جميع أجناس المسلمين،

فيتعارفون و يستعين بعضهم ببعض،

و يتشاورون على المصالح العامة،

و تنعقد بينهم الروابط في مصالحهم الدينية و الدنيوية.

قال تعالى:(لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ)

و من أجل كون البيت قياما للناس قال من قال من العلماء:–

إن حج بيت الله فرض كفاية في كل سنة.

فلو ترك الناس حجه لأثم كل قادر،

بل لو ترك الناس حجه لزال ما به قوامهم، و قامت القيامة.

و قوله: (وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَۚ)

أي: و كذلك جعل الهدي و القلائد – التي هي أشرف أنواع الهدي–

(قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ) ينتفعون بهما و يثابون عليهما.

(ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ)

فمن علمه أن جعل لكم هذا البيت الحرام،

لما يعلمه من مصالحكم الدينية و الدنيوية.

(ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)

أي: ليكن هذان العلمان موجودين في قلوبكم على وجه الجزم و اليقين،

تعلمون أنه شديد العقاب العاجل و الآجل على من عصاه،

(وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)

و أنه غفور رحيم لمن تاب إليه و أطاعه.

فيثمر لكم هذا العلمُ الخوفَ من عقابه، و الرجاءَ لمغفرته و ثوابه،

و تعملون على ما يقتضيه الخوف و الرجاء.

ثم قال تعالى: (مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ)

و قد بلَّغ كما أُمِر، و قام بوظيفته، و ما سوى ذلك فليس له من الأمر شيء.

(وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ)

***لأنا نعلم ما عمله العامل منكم فأظهره بجوارحه و نطق به لسانه

(وَمَا تَكْتُمُونَ)

***ما تخفون في أنفسكم من إيمان و كفر أو يقين و شك و نفاق

❍فيجازيكم بما يعلمه تعالى منكم.

قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾

أي: (قُل) للناس محذرا عن الشر و مرغبا في الخير:-

(لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ)

من كل شيء، فلا يستوي الإيمان و الكفر، و لا الطاعة و المعصية،

و لا أهل الجنة و أهل النار، و لا الأعمال الخبيثة و الأعمال الطيبة،

و لا المال الحرام بالمال الحلال.

(وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ)

***القليل النافع خير من الكثير الحرام الضار

❍فإنه لا ينفع صاحبه شيئا، بل يضره في دينه و دنياه.

(فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ)

***تجنبوا الحرام و دعوه و اقتنعوا بالحلال و اكتفوا به

❍فأمر أُولي الألباب، أي: أهل العقول الوافية، و الآراء الكاملة،

فإن الله تعالى يوجه إليهم الخطاب.

و هم الذين يؤبه لهم، و يرجى أن يكون فيهم خير.

(لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)

ثم أخبر أن الفلاح متوقف على التقوى التي هي موافقة الله في أمره و نهيه،

فمن اتقاه أفلح كل الفلاح،

و من ترك تقواه حصل له الخسران و فاتته الأرباح.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ
يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ١٠١ قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٌ مِّن
قَبۡلِكُمۡ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ١٠٢﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ

*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

صحيح البخاري

4621 عَنْ أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:-

خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِﷺخُطْبَةً ما سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ، قَالَ:

«لَوْ تَعْلَمُونَ ما أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَ لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»

قَالَ: فَغَطَّى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺوُجُوهَهُمْ لَهُمْ خَنِينٌ،

فَقَالَ رَجُلٌ: مَنْ أَبِي؟

قَالَ: فُلَانٌ،

فَنَزَلَتْ هذه الآيَةُ: {لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ}

[المائدة101] (□)

*صحيح البخاري

4622 عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:-

□ (ما أعلم) من عظمة الله تعالى وشدة عقابه لأهل المعاصي ومن أهوال يوم القيامة.

(خنين) خروج الصوت من الأنف مع البكاء وفي رواية (حنين) وهو صوت مرتفع بالبكاء يخرج من الصدر. (رجل) قيل هو عبد الله بن حذافة رضي الله عنه وقيل غيره. (إن تبد لكم) تظهر. (تسؤكم) يصبكم بها السوء لما فيها من مشقة عليكم

كَانَ قَوْمٌ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺاسْتِهْزَاءً،
فَيَقُولُ الرَّجُلُ: مَنْ أَبِي؟
وَيَقُولُ الرَّجُلُ تَضِلُّ نَاقَتُهُ: أَيْنَ نَاقَتِي؟
فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ هَذِهِ الآيَةَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ} [المائدة:101]
حَتَّى فَرَغَ مِنَ الآيَةِ كُلِّهَا "()

*وأخرج الطبري عن أبي هريرة بسند رجاله رجال الصحيح إلا محمد بن علي شيخ ابن جرير وهو ثقة قال:-
خطبنا رسول الله ﷺفقال: -
"يا أيها الناس كتب الله عليكم الحج"
فقام محصن الأسدي فقال: أفي كل عام يا رسول الله؟
فقال: "أما أني لو قلت نعم لوجبت
ولو وجبت ثم تركتم لضللتم،
اسكتوا عني ما سكت عنكم
فإنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم"
فأنزل الله تعالى:
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ}
إلى آخر الآية.
فهذه ثلاثة أسباب لأن الأول و هو عبد الله بن حذافة لم يسأل استهزاء لكن قال الحافظ في الفتح ج9 ص351:-

---

(قوم) أناس من المنافقين واليهود وفي نسخة (ناس). (تسؤكم) لأنها تكشف حالكم]

لا مانع أن يكون الجمع سبب نزولها والله أعلم.
و قال ص352: و الحاصل أنها نزلت بسبب كثرة المسائل،
إما على سبيل الاستهزاء و الامتحان،
ولاإما على سبيل التعنت عن الشيء الذي لو لم يسأل عنه لكان على الإباحة ا. هـ.
ينهى عباده المؤمنين عن سؤال الأشياء التي إذا بينت لهم ساءتهم و أحزنتهم،
و ذلك كسؤال بعض المسلمين لرسول الله ﷺ عن آبائهم،
و عن حالهم في الجنة أو النار،
فهذا ربما أنه لو بين للسائل لم يكن له فيه خير،
و كسؤالهم للأمور غير الواقعة.
و كالسؤال الذي يترتب عليه تشديدات في الشرع ربما أحرجت الأمة،
و كالسؤال عما لا يعني،
فهذه الأسئلة، و ما أشبهها هي المنهي عنها،
و أما السؤال الذي لا يترتب عليه شيء من ذلك فهذا مأمور به،
كما قال تعالى: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) .
وَ قَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: صحيح البخاري
7289 عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:
«إِنَّ أَعْظَمَ المُسْلِمِينَ جُرْمًا، مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ، فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ»

(وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ)
***وَ لَكِنْ إِذَا نَزَلَ الْقُرْآنُ بِهَا مُجْمَلَةً فَسَأَلْتُمْ عَنْ بيانها حينئذ، تبينت لكم لاحتياجكم إليها.
أي: و إذا وافق سؤالكم محله فسألتم عنها حين ينزل عليكم القرآن، فتسألون عن آية أشكلت،
أو حكم خفي وجهه عليكم، في وقت يمكن فيه نزول الوحي من السماء،
(تُبۡدَ لَكُمۡ)
أي: تبين لكم و تظهر، و إلا فاسكتوا عمّا سكت الله عنه.
(عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ)
***صحيح البخاري
7288 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:
«دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ،
إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَ اخْتِلاَفِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ،
فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ،
وَ إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»( )

(دعوني) اتركوني ولا تسألوني. (بسؤالهم) كثرة أسئلتهم. (ما استطعتم) قدر استطاعتكم بعد الإتيان بالقدر الواجب الذي لا بد منه. قال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم هذا من قواعد الإسلام ومن جوامع الكلم التي أعطيها صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه ما لا يحصى من الأحكام]

❍أي: سكت معافيا لعباده منها،

فكل ما سكت الله عنه فهو مما أباحه و عفا عنه.

(وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ)

أي: لم يزل بالمغفرة موصوفا، و بالحلم و الإحسان معروفا،

فتعرضوا لمغفرته و إحسانه، و اطلبوه من رحمته و رضوانه.

و هذه المسائل التي نهيتم عنها

(قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ)

أي: جنسها و شبهها، سؤال تعنت لا استرشاد.

فلما بينت لهم و جاءتهم

(ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ)

***بِسَبَبِهَا، أَيْ: بُيِّنَتْ لَهُمْ وَ لَمْ يَنْتَفِعُوا بِهَا لِأَنَّهُمْ:-

[لَمْ يَسْأَلُوا عَلَى وَجْهِ الِاسْتِرْشَادِ]

وَ إِنَّمَا سَأَلُوا عَلَى وَجْهِ التَّعَنُّتِ وَ الْعِنَادِ.

❍كما قال النبي ﷺفي الحديث الصحيح:

« ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، و ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم،

فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم، و اختلافهم على أنبيائهم » .

مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٣

هذا ذم للمشركين الذين شرعوا في الدين ما لم يأذن به الله،

و حرموا ما أحله الله،

فجعلوا بآرائهم الفاسدة شيئا من مواشيهم محرما،

على حسب اصطلاحاتهم التي عارضت ما أنزل الله فقال:

(مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ)

و هي: ناقة يشقون أذنها، ثم يحرمون ركوبها و يرونها محترمة.

***هِيَ النَّاقَةُ إِذَا نَتَجَتْ خَمْسَةَ أَبْطُن نَظَرُوا إِلَى الْخَامِسِ،
فَإِنْ كَانَ ذَكَرًا ذَبَحُوهُ، فَأَكَلَهُ الرِّجَالُ دُونَ النِّسَاءِ.
وَ إِنْ كَانَ أُنْثَى جَدَعُوا آذَانَهَا، فَقَالُوا: هَذِهِ بَحِيرَةٌ.
4623البخاري - عَنْ سَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ، قَالَ:
البَحِيرَةُ: الَّتِي يُمْنَعُ دَرُّهَا لِلطَّوَاغِيتِ، فَلاَ يَحْلُبُهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ،

(وَلَا سَآئِبَةٖ)

و هي: ناقة، أو بقرة، أو شاة، إذا بلغت شيئا اصطلحوا عليه،

سيبوها فلا تركب و لا يحمل عليها و لا تؤكل،

و بعضهم ينذر شيئا من ماله يجعله سائبة.

***يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شئ

***هِيَ مِنَ الْغَنَمِ نَحْوَ مَا فُسِّرَ مِنَ الْبَحِيرَةِ،

إِلَّا أَنَّهَا مَا وُلِدَتْ مِنْ وَلَد كَانَ بَيْنَهَا وَ بَيْنَ سِتَّةِ أَوْلَادٍ كَانَ عَلَى هَيْئَتِهَا،
فَإِذَا وَلَدَتِ السَّابِعَ ذَكَرًا أَوْ ذَكَرَيْنِ، ذَبَحُوهُ،
فَأَكَلَهُ رِجَالُهُمْ دُونَ نِسَائِهِمْ.
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ:-
السَّائِبَةُ: -
هِيَ النَّاقَةُ إِذَا وَلَدَتْ عَشْرَ إِنَاثٍ مِنَ الْوَلَدِ لَيْسَ بَيْنَهُنَّ ذَكَرٌ،
سُيِّبت فَلَمْ تُرْكَبْ، وَ لَمْ يُجزّ وَبَرُهَا، وَ لَمْ يَحْلِبْ لَبَنَهَا إِلَّا الضَّيْفُ.

***صحيح البخاري
4623 - عَنْ سَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ، قَالَ:
وَ السَّائِبَةُ: كَانُوا يُسَيِّبُونَهَا لِآلِهَتِهِمْ لاَ يُحْمَلُ عَلَيْهَا شَيْءٌ
قَالَ: وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرٍ الخُزَاعِيَّ( ) يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ،
كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ»

(وَلَا وَصِيلَةٍ)

***صحيح البخاري
4623 - عَنْ سَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ، قَالَ:

فَعَمْرُو هَذَا هُوَ ابْنُ لُحَيِّ بْنِ قَمَعَة، أَحَدُ رُؤَسَاءِ خُزَاعَةَ، الَّذِينَ ولَوا الْبَيْتَ بَعْدَ جَرْهم.
وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ غَيَّرَ دِينَ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، فَأَدْخَلَ الْأَصْنَامَ إِلَى الْحِجَازِ،
وَ دَعَا الرَّعَاعَ مِنَ النَّاسِ إِلَى عِبَادَتِهَا وَالتَّقَرُّبِ بِهَا، وَشَرَعَ لَهُمْ هَذِهِ الشَّرَائِعَ الْجَاهِلِيَّةَ فِي الْأَنْعَامِ وَغَيْرِهَا، كَمَا ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ، عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى:
{وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأنْعَامِ نَصِيبًا} [الْأَنْعَامِ: 136] إِلَى آخرِ الْآيَاتِ فِي ذَلِكَ.

وَ الوَصِيلَةُ: النَّاقَةُ البِكْرُ، تُبَكِّرُ فِي أَوَّلِ نِتَاجِ الإِبِلِ، ثُمَّ تُثَنِّي بَعْدُ بِأُنْثَى،
وَ كَانُوا يُسَيِّبُونَهَا لِطَوَاغِيتِهِمْ،
***هِيَ الشَّاةُ إِذَا نَتَجَتْ سَبْعَةَ أَبْطُنٍ نَظَرُوا إِلَى السَّابِعِ،
فَإِنْ كَانَ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى وَ هُوَ مَيِّتٌ اشْتَرَكَ فِيهِ الرِّجَالُ دُونَ النِّسَاءِ،
وَ إِنْ كَانَ أُنْثَى اسْتَحْيَوْهَا،
وَ إِنْ كَانَ ذَكَرًا وَ أُنْثَى فِي بَطْنٍ اسْتَحْيَوْهُمَا
وَ قَالُوا: وَصَلَتْهُ أُخْتُهُ فَحَرَّمَتْهُ عَلَيْنَا.
عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ: {وَلا وَصِيلَةٍ} قَالَ: -
فَالْوَصِيلَةُ مِنَ الْإِبِلِ، كَانَتِ النَّاقَةُ تَبْتَكِرُ بِأُنْثَى،
ثُمَّ تُثَنَّى بِأُنْثَى، فَسَمَّوْهَا الْوَصِيلَةَ،
وَ يَقُولُونَ: وَصَلَتْ أُنْثَيَيْنِ لَيْسَ بَيْنَهُمَا ذَكَرٌ، فَكَانُوا يَجْدَعُونَهَا لِطَوَاغِيتِهِمْ.
***تفسير ابن أبي حاتم،
6885 عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ ، عَنْ أَبِيهِ
قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي خُلْقَانٍ مِنَ الثِّيَابِ ،
فَقَالَ لِي: «هَلْ لَكَ مِنْ مَالٍ؟»
قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «مِنْ أَيْنَ الْمَالُ؟»
قَالَ: فَقُلْتُ: مِنْ كُلِّ الْمَالِ مِنَ الْإِبِلِ وَ الْغَنَمِ ، وَ الْخَيْلِ ، وَ الرَّقِيقِ.
قَالَ: «فَإِذَا أَتَاكَ اللَّهُ مَالًا فَلْيُرَ عَلَيْكَ»
ثُمَّ قَالَ: «تُنْتَجُ إِبِلُكَ وَافِيَةً آذَانُهَا؟»
قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ ،
قَالَ: «وَ هَلْ تُنْتَجُ الْإِبِلُ إِلَّا كَذَلِكَ؟»
قَالَ: فَلَعَلَّكَ تَأْخُذُ مُوسَى ، فَتَقْطَعُ آذَانَ طَائِفَةٍ مِنْهَا ،
وَ تَقُولُ: هَذِهِ بَحِيرَةٌ ،

وَ تَشُقُّ آذَانَ طَائِفَةٍ مِنْهَا ، وَ تَقُولُ هَذِهِ صُرُمٌ؟
" فَقُلْتُ: نَعَمْ ،
قَالَ: «فَلَا تَفْعَلْ إِنَّ كُلَّ مَا أَتَاكَ اللَّهُ لَكَ حِلٌّ»
ثُمَّ قَالَ: {مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ}
[المائدة: 103]
أَمَّا الْبَحِيرَةُ فَهِيَ الَّتِي تَجْدَعُونَ آذَانَهَا فَلَا تَنْتَفِعُ امْرَأَتُهُ وَ لَا بَنَاتُهُ وَ لَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ بِصُوفِهَا وَ لَا أَوْبَارِهَا وَ لَا أَشْعَارِهَا وَ لَا أَلْبَانِهَا.
فَإِذَا مَاتَتِ اشْتَرَكُوا فِيهَا

(وَلَا حَامٍۚ)

***صحيح البخاري
4623 - عَنْ سَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ، قَالَ:
وَ الحَامِ: فَحْلُ الإِبِلِ يَضْرِبُ الضِّرَابَ المَعْدُودَ،
فَإِذَا قَضَى ضِرَابَهُ وَ دَعُوهُ لِلطَّوَاغِيتِ، وَ أَعْفَوْهُ مِنَ الحَمْلِ،
فَلَمْ يُحْمَلْ عَلَيْهِ شَيْءٌ وَ سَمَّوْهُ الحَامِيَ "
أي: جمل يحمى ظهره عن الركوب و الحمل،

[إذا وصل إلى حالة معروفة بينهم.]

فكل هذه مما جعلها المشركون محرمة بغير دليل و لا برهان.

و إنما ذلك افتراء على الله، و صادرة من جهلهم و عدم عقلهم،

و لهذا قال: (وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ)

فلا نقل فيها و لا عقل،

و مع هذا فقد أعجبوا بآرائهم التي بنيت على الجهالة و الظلم.

***مَا شَرَعَ اللَّهُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ وَ لَا هِيَ عِنْدَهُ قُرْبَةٌ،
وَ لَكِنَّ الْمُشْرِكِينَ افْتَرَوْا ذَلِكَ وَ جَعَلُوهُ شَرْعًا لَهُمْ وَ قُرْبَةً يَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَيْهِ.
وَ لَيْسَ ذَلِكَ بِحَاصِلٍ لَهُمْ، بَلْ هُوَ وَبَالٌ عَلَيْهِمْ.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ
ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ
أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ
ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ
لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾
فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ
ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ
ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِٱلشَّهَـٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنٌۢ بَعْدَ
أَيْمَـٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ
ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ)

فإذا دعوا ﴿إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾

أعرضوا فلم يقبلوا،

و ﴿قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ﴾

من الدين، و لو كان غير سديد، و لا دينًا ينجي من عذاب الله.

﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾

و لو كان في آبائهم كفاية و معرفة و دراية لهان الأمر.

و لكن آباءهم لا يعقلون شيئا،

أي: ليس عندهم من المعقول شيء،

و لا من العلم و الهدى شيء.

فتبا لمن قلد من لا علم عنده صحيح، و لا عقل رجيح،

و ترك اتباع ما أنزل الله،

و اتباع رسله الذي يملأ القلوب علما و إيمانا، و هدى، و إيقانا.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْۚ إِلَى ٱللَّهِ

مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾

يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْۚ﴾

***وَ لَيْسَ فِي الْآيَةِ مستَدلٌّ عَلَى تَرْكِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، إِذَا كَانَ فِعْلُ ذَلِكَ مُمْكِنًا،

وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ:
مسند أحمد مخرجا حديث رقم 1
قَامَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَحَمِدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ:-
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَؤُونَ هَذِهِ الْآيَةَ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} [المائدة: 105]
وَ إِنَّا سَمِعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:
«إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغيرُوهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ»

أي: اجتهدوا في إصلاحها و كمالها و إلزامها سلوك الصراط المستقيم،

فإنكم إذا صلحتم لا يضركم من ضل عن الصراط المستقيم،

و لم يهتد إلى الدين القويم، و إنما يضر نفسه.

و لا يدل هذا على أن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر،

لا يضر العبدَ تركُهما و إهمالُهما،

فإنه لا يتم هداه، إلا بالإتيان بما يجب عليه من الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.

نعم، إذا كان عاجزا عن إنكار المنكر بيده و لسانه و أنكره بقلبه،

فإنه لا يضره ضلال غيره.

و قوله: (إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا)

أي: مآلكم يوم القيامة، و اجتماعكم بين يدي الله تعالى.

(فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ)

من خير و شر.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا
عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ
ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا
وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا
ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ
فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۗ وَٱتَّقُواْ
ٱللَّهَ وَٱسۡمَعُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ)

*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

صحيح البخاري

2780عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: -
خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَهْمٍ مَعَ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ،
و عَدِيِّ بْنِ بَدَّاءٍ، فَمَاتَ السَّهْمِيُّ بِأَرْضٍ لَيْسَ بِهَا مُسْلِمٌ،

فَلَمّا قدما بتَركَته، فَقدُوا جامًا مِنْ فِضّةٍ مُخَوّصًا مِنْ ذَهَبٍ،
«فَأَحلَفَهُمَا رَسُولُ اللّه ﷺ»
ثُمّ وُجِدَ الجامُ بِمكّةَ، فَقَالُوا:-
ابْتَعْنَاهُ مِنْ تَمِيمٍ وَعَدِيّ، فَقَامَ رَجُلاَنِ مِنْ أَوْلِيَائِه،
فَحَلَفَا لَشَهَادَتُنَا أَحَقٌ مِنْ شَهَادَتِهِمَا،
وَ إنّ الجَامَ لِصَاحِبِهِمْ، قَالَ: -
وَ فِيهِمْ نَزَلَتْ هذه الآيَةُ:
{يَا أَيّهَا الّذِينَ آمنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ}
[المائدة106] (Î)

❍يخبر تعالى خبرا متضمنا للأمر بإشهاد اثنين على الوصية،

إذا حضر الإنسان مقدماتُ الموت و علائمه.

فينبغي له أن يكتب وصيته،

و يشهد عليها اثنين ذوي عدل ممن تعتبر شهادتهما.

(أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ)

أي: من غير أهل دينكم، من اليهود أو النصارى أو غيرهم،

ش (تميم. . عدي) كانا نصرانيين عندما حدثت القصة المذكورة في الحديث وتميم أسلم بعد ذلك رضي الله عنه وأما عدي فلم يسلم. (جاما) كأسا. (مخوصا) منقوشا فيه خطوط دقيقة طويلة كالخوص وهو ورق النخل. (أوليائه) من أولياء السهمي والرجلان هما عمرو بن العاص والآخر قيل هو المطلب بن أبي وداعة رضي الله عنهما]

و ذلك عند الحاجة و الضرورة و عدم غيرهما من المسلمين.

(إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ)

أي: سافرتم فيها

(فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ)

أي: فأشهدوهما، و لم يأمر بشهادتهما إلا لأن قولهما في تلك الحال مقبول،

و يؤكد عليهما،

(تَحۡبِسُونَهُمَا)

بأن يحبسا

(مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ)

التي يعظمونها.

(فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ)

أنهما صدقا، و ما غيَّرا و لا بدلا هذا

(إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ)

***ظهرت لكم منهما ريبة أنهما خانا أو غلا فيحلفان بالله

في شهادتهما، فإن صدقتموهما، فلا حاجة إلى القسم بذلك.

و يقولان:

(لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ)

أي: بأيماننا

(ثَمَنًا) بأن نكذب فيها، لأجل عرض من الدنيا.

(وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ ۙ)

فلا نراعيه لأجل قربه منا

***لا نحابيه

(وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ)

بل نؤديها على ما سمعناها

***(شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ) أَضَافَهَا إِلَى اللَّهِ تَشْرِيفًا لَهَا، وَ تَعْظِيمًا لِأَمْرِهَا.

(إِنَّآ إِذًا)

أي: إن كتمناها

(لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ)

(فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا)

أي: الشاهدين

(ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمًا)

بأن وجد من القرائن ما يدل على كذبهما و أنهما خانا

(فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ) .

أي: فليقم رجلان من أولياء الميت، و ليكونا من أقرب الأولياء إليه.

(فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا)

أي: أنهما كذبا، و غيَّرا و خانا.

(وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ)

أي: إن ظلمنا و اعتدينا، و شهدنا بغير الحق.

❍قال الله تعالى في بيان حكمة تلك الشهادة و تأكيدها،

و ردها على أولياء الميت حين تظهر من الشاهدين الخيانة:–

(ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ) أي: أقرب

(أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَـٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ)

حين تؤكد عليهما تلك التأكيدات.

*الميسر:أقرب إلى أن يأتوا بالشهادة على حقيقتها خوفًا من عذاب الآخرة

(أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۗ)

أي: أن لا تقبل أيمانهم(((***الكاذبة))) ثم ترد على أولياء الميت.

*** <u>يَكُونُ الْحَامِلُ لَهُمْ عَلَى الْإِتْيَانِ بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا،هُوَ :-</u>

1-تَعْظِيـــــــمُ الْحَلِفِ بِاللَّهِ

2-وَ مُـــــــرَاعَاةُ جَانِبِهِ وَ إِجْلَالُهُ،

3-وَ الْخَـــوْفُ مِنَ الْفَضِيحَةِ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا رُدَّتِ الْيَمِينُ عَلَى الْوَرَثَةِ، فَيَحْلِفُونَ وَ يَسْتَحِقُّونَ مَا يَدْعُونَ،
وَ لِهَذَا قَالَ: {أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ}

(وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡمَعُواْۗ)

(وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ)

***الخارجين عن طاعته و متابعة شريعته

أي: الذين وصْفُهم الفسق، فلا يريدون الهدى و القصد إلى الصراط المستقيم.

و حاصل هذا، أن الميت – إذا حضره الموت في سفر و نحوه، مما هو مظنة قلة الشهود المعتبرين– أنه ينبغي:–

أن يوصي شاهدين مسلمين عدلين.

فإن لم يجد إلا شاهدين كافرين، جاز أن يوصي إليهما،

و لكن لأجل كفرهما فإن الأولياء إذا ارتابوا بهما فإنهم يحلفونهما بعد الصلاة، أنهما ما خانا، و لا كذبا، و لا غيرا، و لا بدلا

فيبرآن بذلك من حق يتوجه إليهما.

فإن لم يصدقوهما و وجدوا قرينة تدل على كذب الشاهدين،

فإن شاء أولياء الميت، فليقم منهم اثنان، فيقسمان بالله:–

لشهادتهما أحق من شهادة الشاهدين الأولين،

و أنهما خانا و كذبا، فيستحقون منهما ما يدعون.

و هذه الآيات الكريمة نزلت في قصة « تميم الداري » و « عدي بن بداء » المشهورة حين أوصى لهما العدوي، و الله أعلم.

و يستدل بالآيات الكريمات على عدة أحكــــــــــام:-

1- أن الوصية مشروعة، و أنه ينبغي لمن حضره الموت أن يوصي.

2-أنها معتبرة، و لو كان الإنسان وصل إلى مقدمات الموت و علاماته، [ما دام عقله ثابتا.]

3-أن شهادة الوصية لا بد فيها من اثنين عدلين.

4-أن شهادة الكافرين في هذه الوصية و نحوها مقبولة لوجود الضرورة، و هذا مذهب الإمام أحمد.

و زعم كثير من أهل العـــــــــلم:-

أن هذا الحكم منسوخ، و هذه دعوى لا دليل عليها.

5-أنه ربمــــــــا استفيد من تلميح الحكم و معناه:-

أن شهادة الكفار - عند عدم غيرهم، حتى في غير هذه المسألة- مقبولة، كما ذهب إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية.

6-جــــــــواز سفر المسلم مع الكافر إذا لم يكن محذور.

7- جــــــواز السفر للتجارة.

8- أن الشاهدين - إذا ارتيب منهما، و لم تبد قرينة تدل على خيانتهما،

و أراد الأولياء– أن يؤكدوا عليهم اليمين،

و يحبسوهما من بعد الصلاة، فيقسمان بصفة ما ذكر الله تعالى.

9– أنـــــــه إذا لم تحصل تهمة و لا ريب لم يكن حاجة إلى حبسهما،

و تأكيد اليمين عليهما.

10– تعظيم أمر الشهادة حيث أضافها تعالى إلى نفسه،

و أنه يجب الاعتناء بها و القيام بها بالقسط.

11– أنه يجوز امتحان الشاهدين عند الريبة منهما،

و تفريقهما لينظر عن شهادتهما.

12–أنه إذا وجدت القرائن الدالة على كذب الوصيين في هذه المسألة –

قام اثنان من أولياء الميت فأقسما بالله:–

أن أيماننا أصدق من أيمانهما، و لقد خانا و كذبا.

ثم يدفع إليهما ما ادعياه، فتكون القرينة – مع أيمانهما– قائمة مقام البينة.

۞ يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ
١٠٩ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ
بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ
وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ
فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ
بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١١٠ وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي
وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ١١١ إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ
مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن
كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١١٢ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ
صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ١١٣

۞ يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ
١٠٩ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ
بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ

وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ
فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ
بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١١٠

(يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ)

***كقوله﴿ فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾الأعراف: ٦

❍يخبر تعالى عن يوم القيامة و ما فيه من الأهوال العظام،

و أن الله يجمع به جميع الرسل فيسألهم:

(مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ)

أي: ماذا أجابتكم به أممكم.

ف (قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ)

و إنما العلم لك يا ربنا، فأنت أعلم منا.

***إِنَّمَا قَالُوا ذَلِكَ مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

وَ لَا شَكَّ أَنَّهُ قَوْلٌ حَسَنٌ، وَ هُوَ مِنْ بَابِ التَّأَدُّبِ مَعَ الرَّبِّ، عَزَّ وَجَلَّ، أَيْ: -

لَا عِلْمَ لَنَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى عِلْمِكَ الْمُحِيطِ بِكُلِّ شَيْءٍ،

فَنَحْنُ وَ إِنْ كُنَّا قَدْ أَجَبْنَا وَ عَرَفْنَا مَنْ أَجَابَنَا،

وَ لَكِنَّ مِنْهُمْ مَنْ كُنَّا إِنَّمَا نَطَّلِعُ عَلَى ظَاهِرِهِ، لَا عِلْمَ لَنَا بِبَاطِنِهِ،

وَ أَنْتَ الْعَلِيمُ بِكُلِّ شَيْءٍ، الْمُطَّلِعُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.
فَعِلْمُنَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى عِلْمِكَ كَلَا عِلْم،

(أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ)

أي: تعلم الأمور الغائبة و الحاضرة.

(إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ)

أي: اذكرها بقلبك و لسانك، و قم بواجبها شكرا لربك،

حيث أنعم عليك نعما ما أنعم بها على غيرك.

(إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ)

أي: إذ قويتك بالروح و الوحي، الذي طهرك و زكاك،

و صار لك قوة على القيام بأمر الله و الدعوة إلى سبيله.

و قيل: إن المراد « بروح القدس » جبريل عليه السلام،

و أن الله أعانه به و بملازمته له، و تثبيته في المواطن المشقة.

***1-حَيْثُ جَعلتُكَ لَهَا بُرْهَانًا عَلَى بَرَاءَتِهَا مِمَّا نَسَبَهُ الظَّالِمُونَ الْجَاهِلُونَ إِلَيْهَا مِنَ الْفَاحِشَةِ،
2-وَ جَعَلْتُكَ نَبِيًّا دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ فِي صِغَرِكَ وَ كِبَرِكَ،
فَأَنْطَقْتُكَ فِي الْمَهْدِ صَغِيراً، فَشَهِدْتَ بِبَرَاءَةِ أُمِّكَ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ،
3-وَ اعْتَرَفْتَ لِي بِالْعُبُودِيَّة،
4-وَ أَخْبَرْتَ عَنْ رِسَالَتِي إِيَّاكَ وَ دَعْوَتَكَ إِلَى عِبَادَتِي؛

(تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ)

(فِي ٱلۡمَهۡدِ)

* الجزائري :سرير الطفل الرضيع.

(وَكَهۡلٗا)

*الجزائري :من تجاوز سن الشباب أي ثلاثين سنة.

*** تَدْعُو إِلَى اللَّهِ النَّاسَ فِي صِغَرِكَ وَ كِبَرِكَ.

وَ ضِمْنُ "تُكَلِّمُ" تَدْعُو؛ لِأَنَّ كَلَامَهُ النَّاسَ فِي كُهُولَتِهِ لَيْسَ بِأَمْرٍ عَجِيبٍ.

المراد بالتكليم هنا، غير التكليم المعهود الذي هو مجرد الكلام،

و إنما المراد بذلك التكليم الذي ينتفع به المتكلم و المخاطب،

و هو الدعوة إلى الله.

و لعيسى عليه السلام من ذلك، ما لإخوانه من أولي العزم من المرسلين،

من التكليم في حال الكهولة، بالرسالة و الدعوة إلى الخير، و النهي عن الشر،

و امتاز عنهم بأنه كلم الناس في المهد، فقال:

(إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا) الآيات

(وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ)

فالكتاب يشمل الكتب السابقة و خصوصا التوراة

فإنه من أعلم أنبياء بني إسرائيل – بعد موسى– بها

و يشمل الإنجيل الذي أنزله الله عليه

و الحكمة :-

هي معرفة أسرار الشرع و فوائده و حكمه و حسن الدعوة و التعليم و مراعاة ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي

(وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى)

أي طيرا مصورا لا روح فيه فتنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله

(وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ) الذي لا بصر له و لا عين

(وَٱلْأَبْرَصَ)

*مرض البُهاء

(بِإِذْنِى)

(وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى)

* الجزائري:أي أحياء من قبورهم.

❍فهذه آيات بيِّنَات و معجزات باهرات يعجز عنها الأطباء و غيرهم أيد الله بها عيسى و قوى بها دعوته

(وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ)

لما جاءهم الحق مؤيدا بالبينات الموجبة للإيمان به

(إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ)

و هموا بعيسى أن يقتلوه و سعوا في ذلك

فكفَّ الله أيديهم عنه و حفظه منهم و عصمه

(((***رفعه الله الي السماء الدنيا)))

فهذه مِنَنٌ امتَنَّ الله بها على عبده و رسوله عيسى ابن مريم

و دعاه إلى شكرها و القيام بها فقام بها عليه السلام أتم القيام

و صبر كما صبر إخوانه من أولي العزم.

وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا

مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ

عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾

قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا

وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾

(وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟)

***وَ هَذَا أَيْضًا مِنَ الِامْتِنَانِ عَلَيْهِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ،

بِأَنْ جَعَلَ لَهُ أَصْحَابًا وَ أَنْصَارًا.

ثُمَّ قِيلَ: الْمُرَادُ بِهَذَا الْوَحْيِ وَحَيُ إِلْهَامٍ،

كَمَا قَالَ: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ} الْآيَةَ [الْقَصَصِ:7]

وَ هَذَا وَحَيُ إِلْهَامٍ بِلَا خَوْفٍ،

وَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلا} الْآيَةَ [النَّحْلِ:68، 69] .

وَ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ:-

وَ إِذْ أَوْحَيْتُ إِلَيْهِمْ بِوَاسِطَتِكَ، فَدَعَوْتَهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَ بِرَسُولِهِ، وَ اسْتَجَابُوا لَكَ وَ انْقَادُوا وَ تَابَعُوكَ، فَقَالُوا: {آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ}

❍أي: و اذكر نعمتي عليك إذ يسرت لك أتباعا و أعوانا.

فأوحيت إلى الحواريين أي: ألهمتهم،

و أوزعت قلوبهم الإيمان بي و برسولي،

أو أوحيت إليهم على لسانك،

أي: أمرتهم بالوحي الذي جاءك من عند الله،

فأجابوا لذلك و انقادوا، و قالوا:

(ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ) ،

فجمعوا بين الإسلام الظاهر، و الانقياد بالأعمال الصالحة،

و الإيمان الباطن المخرج لصاحبه من النفاق و من ضعف الإيمان.

و الحـــــــواريون:-

الأنصار، كما قال تعالى كما قال عيسى ابن مريم للحواريين:

(مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ)

(إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ)

*الجزائري: هل يطيع و يرضى.

أي: مائدة فيها طعام،

و هذا ليس منهم عن شك في قدرة الله، و استطاعته على ذلك.

و إنما ذلك من باب العرض و الأدب منهم.

و لما كان سؤال آيات الاقتراح منافيا للانقياد للحق،

و كان هذا الكلام الصادر من الحواريين ربما أوهم ذلك،

وعظهم عيسى عليه السلام (قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ)

فإن المؤمن يحمله ما معه من الإيمان على:-

1-مـــــــــلازمة التقوى،

2-و أن ينقـــــــــاد لأمر الله،

3-و لا يطلب من آيات الاقتراح التي لا يدري ما يكون بعدها شيئا.

فأخبر الحواريون أنهم ليس مقصودهم هذا المعنى،

وإنما لهم مقاصد صالحة، و لأجل الحاجة إلى ذلك ف

(قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا)

و هذا دليل على أنهم محتاجون لها،

(وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا)

بالإيمان حين نرى الآيات العيانية،

فيكون الإيمان عين اليقين، كما كان قبل ذلك علم اليقين.

كما سأل الخليل عليه الصلاة والسلام ربه أن يريه كيف يحيي الموتى

(قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي)

فالعبد محتاج إلى زيادة[العلم و اليقين و الإيمان] كل وقت،

و لهذا قال:(وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا)

أي: نعلم صدق ما جئت به، أنه حق و صدق

(وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ)

فتكون مصلحة لمن بعدنا، نشهدها لك، فتقوم الحجة،

و يحصل زيادة البرهان بذلك.

قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا
وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١٤ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن
يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١١٥ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ
يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ
سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا
فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي
بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ
أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١١٧ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ
لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١١٨ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩
لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ ١٢٠

***وَ ذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُمْ إِنَّمَا سَأَلُوا ذَلِكَ لِحَاجَتِهِمْ وَ فَقْرِهِمْ
فَسَأَلُوا أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِمْ مَائِدَةٌ كُلَّ يَوْمٍ يَقْتَاتُونَ مِنْهَا،
وَ يَتَقَوَّوْنَ بِهَا عَلَى الْعِبَادَةِ.

❍فلما سمع عيسى عليه الصلاة و السلام ذلك،

و علم مقصودهم،أجابهم إلى طلبهم في ذلك، فقال:

(اللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا)

أي: يكون وقت نزولها عيدا و موسما، يتذكر به هذه الآية العظيمة،

فتحفظ و لا تنسى على مرور الأوقات و تكرر السنين.

كما جعل الله تعالى أعياد المسلمين و مناسكهم مذكرا لآياته،

و منبها على سنن المرسلين و طرقهم القويمة، و فضله و إحسانه عليهم.

(وَءَايَةً مِّنكَ)

*** دَلِيلًا تَنْصِبُهُ عَلَى قُدْرَتِكَ عَلَى الْأَشْيَاءِ،
وَ عَلَى إِجَابَتِكَ دَعْوَتِي، فَيُصَدِّقُونِي فِيمَا أُبَلِّغُهُ عَنْكَ

(وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ)

أي: اجعلها لنا رزقا،

فسأل عيسى عليه السلام نزولها

و أن تكون لهـــــــاتين المصلحتين:-

1-مصلحة الـــــــــدين بأن تكون آية باقية،

2-و مصلحة الـــــــــدنيا، و هي أن تكون رزقا.

(قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ)

لأنه شاهد الآية الباهرة و كفر عنادا و ظلما،

فاستحق العذاب الأليم و العقاب الشديد.

و اعلم أن الله تعـــــالى:-

1-وعــــــــد أنه سينزلها،

2-و تـــــــوعدهم - إن كفروا- بهذا الوعيد،

❍و لم يذكر أنه أنزلها،

فيحتمـــــــل أنــــــه :-

1-لم ينزلها بسبب أنهم لم يختاروا ذلك،

و يدل على ذلك، أنه لم يذكر في الإنجيل الذي بأيدي النصارى،

و لا له وجود.

2-و يحتمل أنها نزلت كما وعد الله، و الله لا يخلف الميعاد،

و يكون عدم ذكرها في الأناجيل التي بأيديهم من الحظ الذي ذكروا به فنسوه.

أو أنه لم يذكر في الإنجيل أصلا

و إنما ذلك كان متوارثا بينهم، ينقله الخلف عن السلف،

فاكتفى الله بذلك عن ذكره في الإنجيل،

و يدل على هذا المعنى قوله:

(وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ) و الله أعلم بحقيقة الحال.

(وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ)

و هذا توبيخ للنصارى الذين قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ ﴾

فيقول الله هذا الكلام لعيسى.

فيتبرأ عيسى و يقول: ﴿سُبۡحَٰنَكَ ﴾

عن هذا الكلام القبيح، و عمّا لا يليق بك.

﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ﴾

أي: ما ينبغي لي، و لا يليق أن أقول شيئا ليس من أوصافي و لا من حقوقي،

فإنه ليس أحد من المخلوقين، لا الملائكة المقربون و لا الأنبياء المرسلون

و لا غيرهم له حق و لا استحقاق لمقام الإلهية

و إنما الجميع عباد، [مُدَّبرون، و خلق مُسَّخرون، و فقراء عاجزون]

﴿إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾

فأنت أعلم بما صدر مني

و ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾

و هذا من كمال أدب المسيح عليه الصلاة و السلام في خطابه لربه،

فلم يقل عليه السلام: « لم أقل شيئا من ذلك »

و إنما أخبر بكلام ينفي عن نفسه أن يقول كل مقالة تنافي منصبه الشريف،

و أن هذا من الأمور المحالة،

و نزه ربه عن ذلك أتم تنزيه،

و رد العلم إلى عالم الغيب و الشهادة.

ثم صرح بذكر ما أمر به بني إسرائيل،

فقال: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ﴾

فأنا عبد متبع لأمرك، لا متجرئ على عظمتك،

﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ﴾

أي: ما أمرتهم إلا بعبادة الله وحده و إخلاص الدين له،

المتضمن للنهي عن اتخاذي و أمي إلهين من دون الله،

و بيان أني عبد مربوب، فكما أنه ربكم فهو ربي.

﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ﴾

أشهد على من قام بهذا الأمر، ممن لم يقم به.

*** كُنْتُ أَشْهَدُ عَلَى أَعْمَالِهِمْ حِينَ كُنْتُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ

﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ﴾

أي: المطلع على سرائرهم و ضمائرهم.

﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾

علما و سمعا و بصرا، فعلمك قد أحاط بالمعلومات،

و سمعك بالمسموعات،

و بصرك بالمبصرات،

فأنت الذي تجازي عبادك بما تعلمه فيهم من خير و شر.

*** صحيح البخاري

4625 عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ:-
«يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا»، ثُمَّ قَالَ:
{كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ، وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ} [الأنبياء: 104]
إِلَى آخِرِ الآيَةِ،
ثُمَّ قَالَ: " أَلاَ وَإِنَّ أَوَّلَ الخَلاَئِقِ يُكْسَى يَوْمَ القِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ،
أَلاَ وَ إِنَّهُ يُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ،
فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُصَيْحَابِي،
فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ،
فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ:
{وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [المائدة: 117]
فَيُقَالُ: إِنَّ هَؤُلاَءِ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ "

(إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ)

و أنت أرحم بهم من أنفسهم و أعلم بأحوالهم،

فلولا أنهم عباد متمردون لم تعذبهم

*الجزائري:

أي من مات منهم على الشرك بأن تصليه نارك فأنت على ذلك قدير،

*** هَذَا الْكَـــــــلَامُ يَتَضَمَّـــــــنُ :-

1-رَدَّ الْمَشِيئَةِ إِلَى اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ،

فَإِنَّهُ الْفَعَّالُ لِمَا يَشَاءُ، الَّذِي لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْأَلُونَ.
2-و يتضمن التَّبَرِّيَ مِنَ النَّصَارَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ، وَ عَلَى رَسُولِهِ، وَ جَعَلُوا لِلَّهِ نِدًّا وَصَاحِبَةً وَ وَلَدًا، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًا كَبِيراً،
وَ هَذِهِ الْآيَةُ لَهَا شَأْنٌ عَظِيمٌ وَ نَبَأٌ عَجِيبٌ،
وَ قَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ:-
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَامَ بِهَا لَيْلَةً حَتَّى الصَّبَاحِ يُرَدِّدُهَا.
صحيح مسلم
(202) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ:-
تَلَا قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ: {رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي} [إبراهيم: 36] الْآيَةَ،
وَ قَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: {إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [المائدة: 118]،
فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَ قَالَ: «اللهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي»،
وَ بَكَى، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:
«يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَ رَبُّكَ أَعْلَمُ،فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟»
فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ،
فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺبِمَا قَالَ، وَ هُوَ أَعْلَمُ،
فَقَالَ اللهُ: " يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ،
فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَ لَا نَسُوءُكَ "( )

(وقال عيسى) قال القاضي عياض قال بعضهم قال هو اسم للقول لا فعل يقال قال قولا وقالا وقيلا كأنه قال وتلا قول عيسى (إنا سنرضيك) هذا موافق لقول الله عز وجل ولسوف يعطيك ربك فترضى]

(وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ)

أي: فمغفرتك صادرة عن تمام عزة و قدرة،

لا كمن يغفر و يعفو عن عجز و عدم قدرة.

*الجزائري:

أي لمن مات على التوحيد فتدخله جنتك فإنه لذلك أهل

فإنك أنت العزيز الغالب على أمره

الحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه فلا ينعم من أشرك به ولا يعذب من أطاعه ووحده. فأجابه الرب تبارك

(ٱلۡحَكِيمُ)

حيث كان من مقتضى حكمتك أن تغفر لمن أتى بأسباب المغفرة.

قَالَ اللَّهُ مبينا لحال عباده يوم القيامة،

و مَن الفائز منهم و مَن الهالك، و مَن الشقي و مَن السعيد،

*الجزائري:

الحكيم:- الذي يضع كل شيء في موضعه فلا ينعم من أشرك به ولا يعذب من أطاعه ووحده.

(قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ)

****يوم ينفع الموحدين توحيدهم

و الصادقون هم الذين استقامت أعمالهم و أقوالهم و نياتهم على الصراط المستقيم و الهدْي القويم،

فيوم القيامة يجدون ثمرة ذلك الصدق،

إذا أحلهم الله في مقعد صدق عند مليك مقتدر،

و لهذا قال: (لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا)

و الكاذبون بضدهم، سيجدون ضرر كذبهم و افترائهم، و ثمرة أعمالهم الفاسدة.

(رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ)

***كقوله﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ التوبة: ٧٢

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ} [الصَّافَّاتِ:61] ،وَ كَمَا قَالَ: {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} [الْمُطَفِّفِينَ: 26]

(لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ)

لأنه الخالق لهما و المدبر لذلك

بحكمه القدري،

و حكمه الشرعي،

و حكمه الجزائي،

و لهذا قال(وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ)

فلا يعجزه شيء، بل جميع الأشياء منقادة لمشيئته، و مسخرة بأمره.

*** هُوَ الْخَالِقُ لِلْأَشْيَاءِ، الْمَالِكُ لَهَا، الْمُتَصَرِّفُ فِيهَا الْقَادِرُ عَلَيْهَا، فَالْجَمِيعُ ملْكه وَ تَحْتَ قَهْرِهِ وَ قُدْرَتِهِ وَ فِي مَشِيئَتِهِ،

فَلَا نَظِيرَ لَهُ وَ لَا وَزِيرَ، وَ لَا عَدِيلَ،
وَ لَا وَالِدَ وَ لَا وَلَدَ وَ لَا صَاحِبَةَ، فَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَ لَا رَبَّ سِوَاهُ.
تم تفسير سورة المائدة بفضل من الله و إحسان، و الحمد لله رب العالمين.

تفسير سورة الأنعام – و هي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ
ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ
مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾
فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟
كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ
عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ
بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ
ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ
ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾

(ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ)

هذا إخبار عن حمده و الثناء عليه بصفات الكمال،

و نعوت العظمة و الجلال عموما،

و على هذه المذكورات خصوصا.

فحمد نفســــــــه على:-

1-خلقه السماوات و الأرض، الدالة على كمال قدرته،

و سعة علمه و رحمته، و عموم حكمته،

2-و انفراده بالخلق و التدبير،

3-و على جعله الظلمات و النور،

(وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ)

و ذلك شامل للحسي من ذلك، كـــــــــ:-

الليل و النهار، و الشمس و القمر.

و المعنوي، كــــــــ:-

ظلمات الجهل، و الشك، و الشرك، و المعصية، و الغفلة،

و نور:– العلم و الإيمان، و اليقين، و الطاعة،

و هذا كله، يدل دلالة قاطعة أنه تعالى هو المستحق للعبادة،

و إخلاص الدين له،

و مع هذا الدليل و وضوح البرهان

(ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ)

أي يعدلون به سواه، يسوونهم به في العبادة و التعظيم،

مع أنهم لم يساووا الله في شيء من الكمال،

و هم فقراء عاجزون ناقصون من كل وجه.

(هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ)

و ذلك بخلق مادتكم و أبيكم آدم عليه السلام.

(ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًاۖ)

أي: ضرب لمدة إقامتكم في هذه الدار أجلا تتمتعون به

و تمتحنون، و تبتلون بما يرسل إليكم به رسله.

(لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا)

و يعمركم ما يتذكر فيه من تذكر.

(وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ)

و هي: الدار الآخرة، التي ينتقل العباد إليها من هذه الدار،

فيجازيهم بأعمالهم من خير و شر.

***كقوله﴿ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ الأعراف: ١٨٧

(ثُمَّ)

مع هذا البيان التام و قطع الحجة

(أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ)

أي: تشكون في:

وعد الله و وعيده، و وقوع الجزاء يوم القيامة.

و ذكر الله الظلمـــــــــات بالجمع:-

لكثـــــــــرة موادها و تنوع طرقها.

و وحد النـــــــور :-

لكون الصراط الموصلة إلى الله واحدة لا تعدد فيها، و هي:-

الصراط المتضمنة للعلم بالحق و العمل به، كما قال تعالى:

(وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ)

وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ٣

أي: و هو المألوه المعبود في السماوات و في الأرض،

فأهل السماء و الأرض متعبدون لربهم، خاضعون لعظمته،

مستكينون لعزه و جلاله، الملائكة المقربون، و الأنبياء و المرسلون،

و الصديقون، و الشهداء و الصالحون.

***كقوله ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ الزخرف: ٨٤

و هو تعالى (يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ)

فاحذروا معاصيه و ارغبوا في الأعمال التي تقربكم منه،و تدنيكم من رحمته،

و احذروا من كل عمل يبعدكم منه و من رحمته.

وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ

لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن

قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا

وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ

وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾

هذا إخبار منه تعالى عن إعراض المشركين، و شدة تكذيبهم و عداوتهم،

و أنهم لا تنفع فيهم الآيات حتى تحل بهم المَثُلات،

فقال: (وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ)

الدالة على الحق دلالة قاطعة، الداعية لهم إلى اتباعه و قبوله

(إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ)

لا يلقون لها بالا و لا يصغون لها سمعا،

قد انصرفت قلوبهم إلى غيرها، و ولوها أدبارَهم.

(فَقَدۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ)

و الحق حقه أن يتبع، و يشكر الله على تيسيره لهم،و إتيانهم به،

فقابلوه بضد ما يجب مقابلته به فاستحقوا العقاب الشديد.

(فَسَوۡفَ يَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَـٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ)

أي: فسوف يرون ما استهزؤوا به، أنه الحق و الصدق،

و يبين الله للمكذبين كذبهم و افتراءهم،

و كانوا يستهزؤون بالبعث و الجنة و النار،

فإذا كان يوم القيامة قيل للمكذبين:

(هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ)

وقال تعالى(وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ * لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ)

ثم أمرهم أن يعتبروا بالأمم السالفة فقال:-

(أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٍ)

أي كم تتابع إهلاكنا للأمم المكذبين و أمهلناهم قبل ذلك الإهلاك بأن:-

(مَّكَّنَّـٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ)

لهؤلاء من [الأموال و البنين و الرفاهية]

(وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ)

***استدراجا و إملاء لهم

❍فينبت لهم بذلك ما شاء الله من:-

[زروع و ثمار]يتمتعون بها و يتناولون منها ما يشتهون

فلم يشكروا الله على نعمه بــــــــل:-

1-أقبلوا على الشهـــــــــوات

2-و ألهتهم أنواع اللـــــــــذات

3-فجاءتهم رسلهم بالبينات فلم يصدقوها بــــــــل ردوها و كذبوها

(فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ)

فأهلكهم الله بذنوبهم

***بخطاياهم و سيئاتهم التي اجترحوها

(وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ)

فهذه سنة الله و دأبه في الأمم السابقين و اللاحقين

فاعتبروا بمن قص الله عليكم نبأهم.

*** جِيلًا آخَرَ لِنَخْتَبِرَهُمْ، فَعَمِلُوا مِثْلَ أَعْمَالِهِمْ فَهَلَكُوا كَهَلَاكِهِمْ.

وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٧﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾

هذا إخبار من الله لرسوله عن شدة عناد الكافرين،

و أنه ليس تكذيبهم لقصور فيما جئتهم به، و لا لجهل منهم بذلك،

و إنما ذلك ظلم و بغي، لا حيلة لكم فيه،

فقال: (وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ)

*الجزائري : ما يكتب عليه جلداً أو كاغداً.

و تيقنوه

(لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ)

ظلما و علوا

(إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ) .

فأي بينة أعظم من هذه البينة، و هذا قولهم الشنيع فيها،

حيث كابروا المحسوس الذي لا يمكن مَن له أدنى مسكة مِن عقل دفعه؟

***كقوله﴿ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ﴿١٤﴾

لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ﴾ الحجر: ١٤ - ١٥

(وَقَالُواْ) أيضا تعنتا مبنيا على الجهل، و عدم العلم بالمعقول.

(لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ)

أي: هلا أنزل مع محمد ملك، يعاونه و يساعده على ما هو عليه بزعمهم

أنه بشر، و أن رسالة الله، لا تكون إلا على أيدي الملائكة.

قال الله في بيان رحمته و لطفه بعباده،

حيث أرسل إليهم بشرا منهم يكون الإيمان بما جاء به، عن :–

[علم و بصيرة، و غيب.]

(وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ)

***كقوله﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ﴾الحجر: ٨

***كقوله﴿ يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ﴾
الفرقان: ٢٢

برسالتنا، لكان الإيمان لا يصدر عن معرفة بالحق،

و لكان إيمانا بالشهادة، الذي لا ينفع شيئا وحده،

هذا إن آمنوا،

و الغالب أنهم لا يؤمنون بهذه الحالة،

فإذا لم يؤمنوا قضي الأمر بتعجيل الهلاك عليهم و عدم إنظارهم،

لأن هذه سنة الله، فيمن طلب الآيات المقترحة فلم يؤمن بها،

فإرسال الرسول البشري إليهم بالآيات البينات،

التي يعلم الله أنها أصلح للعباد، و أرفق بهم،
مع إمهال الله للكافرين و المكذبين خير لهم و أنفع،
فطلبُهم لإنزال الملك شر لهم لو كانوا يعلمون،
و مع ذلك، فالملك لو أنزل عليهم، و أرسل،
لم يطيقوا التلقي عنه، و لا احتملوا ذلك، و لا أطاقته قواهم الفانية.

وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ٩
وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ
يَسۡتَهۡزِءُونَ ١٠ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ
ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١١ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ
ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ
فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣
قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ
أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٤ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ
عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥ مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ
وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ١٦ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن
يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧
وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨

وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ٩

(وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا)

*** وَ لَوْ أَنْزَلْنَا مَعَ الرَّسُولِ البَشَرِيّ مَلَكًا، أَيْ:-

لَوْ بَعَثْنَا إِلَى الْبَشَرِ رَسُولًا مَلَكِيًّا لَكَانَ عَلَى هَيْئَةِ رَجُلٍ لِتُفْهَم مُخَاطَبَتُهُ وَ الِانْتِفَاعِ بِالْأَخْذِ عَنْهُ،

❍لأن الحكمة لا تقتضي سوى ذلك.

(وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ)

*الميسر:و لو جاءهم الملك بصورة رجل لاشتبه الأمر عليهم، كما اشتبه عليهم أمر محمد ﷺ

❍أي: و لكان الأمر، مختلطا عليهم، و ملبوسا

و ذلك بسبب ما لبَّسوه على أنفسهم،

فإنهم بنوا أمرهم على هذه القاعدة التي فيها اللبس، و بها عدم بيان الحق.

فلما جاءهم الحق، بطرقه الصحيحة، و قواعده التي هي قواعده،

لم يكن ذلك هداية لهم، إذا اهتدى بذلك غيرهم،

و الذنب ذنبهم، حيث أغلقوا على أنفسهم باب الهدى،

و فتحوا أبواب الضلال.

وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾

قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾

يقول تعالى مسليا لرسوله و مصبرا، و متهددا أعداءه و متوعدا.

(وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ)

لما جاءوا أممهم بالبينات، كذبوهم و استهزأوا بهم و بما جاءوا به.

فأهلكهم الله بذلك الكفر و التكذيب،

و وفَّى لهم من العذاب أكمل نصيب.

(فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ)

فاحذروا – أيها المكذبون– أن تستمروا على تكذيبكم، فيصيبكم ما أصابهم.

(قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ)

فإن شككتم في ذلك، أو ارتبتم، فسيروا في الأرض،

ثم انظروا، كيف كان عاقبة المكذبين،

فلن تجدوا إلا قوما مهلكين، و أمما في المثلات تالفين،

قد أوحشت منهم المنازل، و عُدِمَ من تلك الربوعِ كل متمتع بالسرور نازل،

أبادهم الملك الجبار،

و كان بناؤهم عبرة لأولي الأبصار.

و هذا السير المأمـــــــور به:–

[سير القلوب و الأبدان] الذي يتولد منه الاعتبار.

و أما مجرد النظر من غير اعتبار، فإن ذلك لا يفيد شيئا.

قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ

لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ

فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢

*** صحيح البخاري

3194 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي»(Î)

يقول تعالى لنبيه ﷺ(قُل)

لهؤلاء المشركين بالله، مقررا لهم و ملزما بالتوحيد:

(لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ)

أي: مَن الخالق لذلك، المالك له، المتصرف فيه؟

(قُل) لهم:

(لِّلَّهِۚ) و هم مقرون بذلك لا ينكرونه،

أفلا حين اعترفوا بانفراد الله بالملك و التدبير،

أن يعترفوا له بالإخلاص و التوحيد؟.

وقوله (كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ)

(قضى) خلقه وأحكمه وأمضاه وفرغ منه. (كتب في كتابه) أمر القلم أن يكتب في اللوح المحفوظ. (فهو عنده) أي الكتاب. (إن رحمتي غلبت غضبي) أي تعلق رحمتي سابق و غالب تعلق غضبي أو المراد إن رحمتي أكثر من غضبي لأنها وسعت كل شيء.

أي: العالم العلوي و السفلي تحت ملكه و تدبيره،

و هو تعالى قد بسط عليهم رحمته و إحسانه،

و تغمدهم برحمته و امتنانه،

و كتب على نفسه كتابا أن رحمته تغلب غضبه،

و أن العطاء أحب إليه من المنع،

و أن الله قد فتح لجميع العباد أبواب الرحمة،

إن لم يغلقوا عليهم أبوابها بذنوبهم، و دعاهم إليها،

إن لم تمنعهم من طلبها معاصيهم و عيوبهم،

و قوله(لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ)

و هذا قسم منه، و هو أصدق المخبرين،

و قد أقام على ذلك من الحجج و البراهين، ما يجعله حق اليقين،

و لكن أبى الظالمون إلا جحودا،

و أنكروا قدرة الله على بعث الخلائق،

فأوضعوا في معاصيه،

و تجرءوا على الكفر به،

فخسروا دنياهم وأخراهم،

و لهذا قال: (ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ) .

***لَا يُصَدِّقُونَ بِالْمَعَادِ، وَ لَا يَخَافُونَ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

۞وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا
فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ
أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ
يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥﴾ مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٦﴾
وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ
وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾
وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٨﴾

اعلم أن هذه السورة الكريمة، قد اشتملت على تقرير التوحيد،

بكل دليل عقلي و نقلي،

بل كادت أن تكون كلها في شأن التوحيد

و مجادلة المشركين بالله المكذبين لرسوله.

فهذه الآيات، ذكر الله فيها ما يتبين به الهدى، و ينقمع به الشرك.

فذكر (وَلَهُۥ) تعالى

(مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ)

و ذلك هو المخلوقات كلهـــــــــا، من :-

[آدميها،و جِنِّها، و ملائكتها، و حيواناتها و جماداتها]

فالكل خلق مدبرون، و عبيد مسخرون لربهم العظيم، القاهر المالك،

فهل يصح في عقل و نقل، أن يعبد مِن هؤلاء المماليك،

الذي لا نفع عنده و لا ضر؟

و يترك الإخلاص للخالق، المدبر المالك، الضار النافع؟!

أم العقول السليمة، و الفطر المستقيمة،

تدعو إلى إخلاص العبادة، و الحب، و الخوف، و الرجاء لله رب العالمين؟!.

(وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ)

لجميع الأصوات، على اختلاف اللغات، بتفنن الحاجات.

(ٱلۡعَلِيمُ)

بما كان، و ما يكون، و ما لم يكن لو كان كيف كان يكون،

المطلع على الظواهر و البواطن؟!.

***كقوله﴿ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ﴾الزمر: ٦٤

(قُلۡ) لهؤلاء المشركين بالله:

(أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا)

من هؤلاء المخلوقات العاجزة يتولاني، و ينصرني؟!.

فلا أتخذ من دونه تعالى وليا،

لأنه (فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ)

أي: خالقهما و مدبرهما.

(وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ)

أي: و هو الرزاق لجميع الخلق، من غير حاجة منه تعالى إليهم،

فكيف يليق أن أتخذ وليا غير الخالق الرزاق، الغني الحميد؟

***كقوله﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴾الذاريات: ٥٦ - ٥٧

(قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ)

لله بالتوحيد، و انقاد له بالطاعة،لأني أولى من غيري بامتثال أوامر ربي.

(وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ)

أي: و نُهِيت أيضا، عن أن أكون من المشركين،

لا في اعتقـــــــادهم،

و لا في مجـــــــالستهم،

و لا في الاجتمـــــــاع بهم،

فهذا أفرض الفروض عليَّ، و أوجب الواجبات.

(قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ)

فإن المعصية في الشرك توجب الخلود في النار، و سخطَ الجبار.

(مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ)

***كقوله ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ ﴾ آل عمران: ١٨٥

و ذلك اليوم هو اليوم الذي يُخاف عذابه، و يُحذر عقابه؛

لأنه مَن صُرف عنه العذاب يومئذ فهو المرحوم،

و من نجا فيه فهو الفائز حقا، كما أن من لم ينجمنه فهو الهالك الشقي.

و من أدلة توحيـــــــــــده:-

أنه تعالى المنفرد بكشف الضراء، و جلب الخير و السراء.

و لهذا قال: (وَإِن يَمْسَسْكَ)

*يصبك

(ٱللَّهُ بِضُرٍّ)

من فقر، أو مرض، أو عسر، أو غم، أو هم أو نحوه.

(فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ)

فإذا كان وحده النافع الضار،فهو الذي يستحق أن يُفْرَدَ بالعبودية و الإلهية.

***كقوله

﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ ﴾
فاطر: ٢

***صحيح البخاري

6330 - قال النبي ﷺ

(وَ لاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ،وَ لاَ يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ)

(وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ)

*الميسر:- و إن يصبك بخير كالغنى والصحة

فلا راد لفضله و لا مانع لقضائه،

(فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ)

*القادر على كل شيء.

(وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ)

فلا يتصرف منهم متصرف،و لا يتحرك متحرك،و لا يسكن ساكن،إلا بمشيئته،

و ليس للملوك و غيرهم الخروج عن ملكه و سلطانه

بل هم مدبرون مقهورون،

فإذا كان هو القاهر و غيره مقهورا، كان هو المستحق للعبادة.

(وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ)

فيما أمر به و نهى، و أثاب، و عاقب، و فيما خلق و قدر.

(ٱلۡخَبِيرُ)

المطلع على السرائر و الضمائر و خفايا الأمور، و هذا كله من أدلة التوحيد.

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ
وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ
وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ
أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا
أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ
أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ
رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾
وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟
كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾
وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾
قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ
وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ
وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ
أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾

(قُلْ) لهم – لما بينا لهم الهدى، و أوضحنا لهم المسالك:–

(أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً)

على هذا الأصل العظيم.

(قُلِ ٱللَّهُ) أكبر شهادة، فهو

(شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ)

فلا أعظم منه شهادة، و لا أكبر،

و هو يشهد لي بإقراره و فعله،

فيقرني على ما قلت لكم، كما قال تعالى

(وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ*لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ* ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ)

فالله حكيم قدير

فلا يليق بحكمتـــــــــه و قـــــــــــــــدرته أن:–

1–يقـــــــــر كاذبا عليه زاعما أن الله أرسله و لم يرسله

2–و أن الله أمـــــــــره بدعوة الخلق و لم يأمره

3–و أن الله أبـــــــــاح له دماء من خالفه و أموالهم و نساءهم

و هو مع ذلك يصدقه بإقراره و بفعله

فيؤيده على ما قال بالمعجزات الباهرة و الآيات الظاهرة و ينصره و يخذل من خالفه و عاداه فأي شهادة أكبر من هذه الشهادة؟.

وقوله (وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ)

***كقوله﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ ﴾هود: ١٧

أي و أوحى الله إليَّ هذا القرآن الكريم لمنفعتكم و مصلحتكم

(لِأُنذِرَكُم بِهِۦ)

من العقاب الأليم

و النذارة إنما تكون بذكر ما ينذرهم به من الترغيب و الترهيب

و ببيان الأعمال و الأقوال الظاهرة و الباطنة التي مَن قام بها

فقد قبل النذارة فهذا القرآن فيه النذارة لكم أيها المخاطبون

(وَمَنۢ بَلَغَ ۚ)

و كل من بلغه القرآن إلى يوم القيامة

فإن فيه بيان كل ما يحتاج إليه من المطالب الإلهية.

لما بيّن تعالى شهادته التي هي أكبر الشهادات على توحيده قال

قل لهؤلاء المعارضين لخبر الله و المكذبين لرسله

(أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ)

*الميسر :لتقرون

***كقوله﴿ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشۡهَدۡ مَعَهُمۡۚ ﴾الأنعام: ١٥٠

أي إن شهدوا فلا تشهد معهم.

❍فـــــــــوازِنْ بين:–

شهادة أصدق القائلين و رب العالمين و شهادة أزكى الخلق المؤيدة بالبراهين القاطعة و الحجج الساطعة على توحيد الله وحده لا شريك له

و شهادة أهل الشرك الذين مرجت عقولهم و أديانهم و فسدت آراؤهم و أخلاقهم و أضحكوا على أنفسهم العقلاء.

❍بل خالفوا بشهادة فطرهم و تناقضت أقوالهم على إثبات

(أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰ)

مع أنه لا يقوم على ما قالوه أدنى شبهة فضلا عن الحجج

(قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ)

*الميسر :-قل لهم لا أشهد علي ما أقررتم به

✡و اختر لنفسك أي الشهادتين إن كنت تعقل و نحن نختار لأنفسنا ما اختاره الله لنبيه الذي أمرنا الله بالاقتداء به

فقال (قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ)

أي منفرد لا يستحق العبودية و الإلهية سواه كما أنه المنفرد بالخلق و التدبير.

(وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ)

به من الأوثان و الأنداد و كل ما أشرك به مع الله

فهذا حقيقة التوحيد إثبات الإلهية لله و نفيها عما عداه.

(ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ)

لما بيَّن شهادته و شهادة رسوله على التوحيد و شهادةَ المشركين الذين لا علم لديهم على ضده ذكر أن أهل الكتاب من اليهود و النصارى

(يَعْرِفُونَهُۥ)

أي يعرفون صحة التوحيد

(كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ)

أي لا شك عندهم فيه بوجهكما أنهم لا يشتبهون بأولادهم خصوصا البنين الملازمين في الغالب لآبائهم.

❍و يحتمل أن الضمير عائد إلى الرسول محمد ﷺ

و أن أهل الكتاب لا يشتبهون بصحة رسالته

و لا يمترون بها لما عندهم من البشارات به و نعوته التي تنطبق عليه

و لا تصلح لغيره و المعنيان متلازمان.

قوله (ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ)

أي فوتوها ما خلقت له من الإيمان و التوحيد و حرموها الفضل من الملك المجيد

(فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ)

فإذا لم يوجد الإيمان منهم فلا تسأل عن الخسار و الشر الذي يحصل لهم.

وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾

أي: لا أعظمَ ظلما و عنادا، ممن كان فيه أحد الوصفين،

فكيف لو اجتمعـــــــــا:-

1-افتـــــــــراء الكذب على الله،

2-أو التكذيب بآياته، التي جاءت بها المرسلون،

فإن هذا أظلم الناس، و الظالم لا يفلح أبدا.

و يدخل في هـــــــــذا:-

1-كل من كَذَبَ على الله، بادعاء الشريك له و العوين،

2-أو زعم أنه ينبغي أن يُعْبد غيره أو اتخذ له صاحبة أو ولدا،

و كل من رد الحق الذي جاءت به الرسل أو مَنْ قام مقامهم.

وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَيۡنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٢٢﴾

ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ﴿٢٣﴾

ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢٤﴾

(وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ)

***كقوله﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾القصص: ٦٢

يخبر تعالى عن مآل أهل الشرك يوم القيامة،

و أنهم يُسْألون و يوبخون فيقال لهم

(أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ)

أي إن الله ليس له شريك، و إنما ذلك على وجه الزعم منهم و الافتراء.

(ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ)

أي: لم يكن جوابهم حين يفتنون و يختبرون بذلك السؤال

(إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ)

إلا إنكارهم لشركهم و حلفهم أنهم ما كانوا مشركين.

***البخاري مع الفتح 8/555-556

(فانهم اذا رأوا أنه لا يدخل الجنة الا أهل الصلاة.....) مطلوب البحث عنها ان شاء الله في شرح الشيخ الشوربجي

(ٱنظُرْ) متعجبا منهم و من أحوالهم

(كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ)

أي: كذبوا كذبا عاد بالخسار على أنفسهم و ضرهم – و الله– غاية الضرر

(وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ)

من الشركاء الذين زعموهم مع الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾

أي: و من هؤلاء المشركين، قوم يحملهم بعضَ الأوقات، بعضُ الدواعي إلى الاستماع لما تقول،

و لكنه استماع خال من قصد الحق و اتباعه،

و لهذا لا ينتفعون بذلك الاستماع، لعدم إرادتهم للخير

(وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً)

أي: أغطية و أغشية،

(أَن يَفْقَهُوهُ)

لئلا يفقهوا كلام الله، فصان كلامه عن أمثال هؤلاء.

(وَفِي آذَانِهِمْ) جعلنا

(وَقْرًا) أي: صمما، فلا يستمعون ما ينفعهم.

(وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا)

و هذا غاية الظلم و العناد،

أن الآيات البينات الدالة على الحق، لا ينقادون لها، و لا يصدقون بها،

بـــــــــــل يجادلون بالباطل الحقَّ ليدحضوه.

و لهذا قال:(حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ)

***يحاجُّونك و يناظرونك في الحق بالباطل

(يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ)

أي: مأخوذ من صحف الأولين المسطورة، التي ليست عن الله،

و لا عن رسله. و هذا من كفرهم،

و إلا فكيف يكون هذا الكتاب الحاوي لأنباء السابقين و اللاحقين،

و الحقائق التي جاءت بها الأنبياء و المرسلون،

و الحق، و القسط، و العدل التام من كل وجه، أساطيرَ الأولين؟.

وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ٢٦

(وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُۖ)

و هم:أي المشركون بالله، المكذبون لرسوله،يجمعون بين الضلال و الإضلال،

(يَنْهَوْنَ) الناس عن اتباع الحق، و يحذرونهم منه،

(وَيَنْـَٔوْنَ)

و يبعدون بأنفسهم عنه،

و لن يضروا الله و لا عباده المؤمنين، بفعلهم هذا، شيئا.

(وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ)

*** وَ مَا يُهْلِكُونَ بِهَذَا الصَّنِيعِ، وَ لَا يَعُودُ وَبَالُهُ إِلَّا عَلَيْهِمْ،

(وَمَا يَشْعُرُونَ)

بذلك.

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾

بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُۖ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ)

يقول تعالى – مخبرا عن حال المشركين يوم القيامة، و إحضارهم النارَ:

(وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ)

ليوبخوا و يقرعوا، لرأيت أمرا هائلا و حالا مفظعة.

و لرأيتهم كيف أقروا على أنفسهم بالكفر و الفسوق،

و تمنوا أن لو يردون إلى الدنيا.

(وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ)

*** يَذْكُرُ تَعَالَى حَالَ الْكُفَّارِ إِذَا وَقَفُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى النَّارِ،
وَ شَاهَدُوا مَا فِيهَا مِنَ السَّلَاسِلِ وَ الْأَغْلَالِ،
وَ رَأَوْا بِأَعْيُنِهِمْ تِلْكَ الْأُمُورَ الْعِظَامَ وَ الْأَهْوَالَ،

فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالُوا {فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ}
يَتَمَنَّوْنَ أَنْ يُرَدُّوا إِلَى الدَّارِ الدُّنْيَا، لِيَعْمَلُوا عَمَلًا صَالِحًا،
وَ لَا يُكَذِّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَ يَكُونُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

فإنهم كانوا يخفون في أنفسهم، أنهم كانوا كاذبين،

و يَبدو في قلوبهم في كثير من الأوقات.

و لكن الأغراض الفاسدة، صدتهم عن ذلك،

و صرفت قلوبهم عن الخير،

و هم كذبة في هذه الأمنية،

و إنما قصدهم، أن يدفعوا بها عن أنفسهم العذاب.

بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾
وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ
أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدۡ خَسِرَ
ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا
وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا
لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ
ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدۡ
كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ
لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ
فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖۚ وَلَوۡ شَآءَ
ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾

(بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ)

*** بَلْ ظَهَرَ لَهُمْ حِينَئِذٍ مَا كَانُوا يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ:-
[الْكُفْرِ وَ التَّكْذِيبِ وَ الْمُعَانَدَةِ]
وَ إِنْ أَنْكَرُوهَا، فِي الدُّنْيَا أَوْ فِي الْآخِرَةِ، كَمَا قَالَ قَبْلَ هَذَا بِيَسِيرٍ

{ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (23) انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} [الأنعام: 23، 24]

○وَ يُحْتَمَلُ:-

أَنَّهُمْ ظَهَرَ لَهُمْ مَا كَانُوا يَعْلَمُونَهُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ مِنْ صِدْقِ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ فِي الدُّنْيَا،

وَإِنْ كَانُوا يُظْهِرُونَ لِأَتْبَاعِهِمْ خِلَافَهُ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ مُوسَى أَنَّهُ قَالَ لِفِرْعَوْنَ:-

{لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزلَ هَؤُلاءِ إِلا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ بَصَائِرَ} [الْإِسْرَاءِ: 102]

-قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ فِرْعَوْنَ وَ قَوْمِه:

{وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا} [النَّمْلِ: 14] .

○وَ يُحْتَمَلُ :-

أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا يُظْهِرُونَ لِلنَّاسِ الْإِيمَانَ

وَ يُبْطِنُونَ الْكُفْرَ،

وَ يَكُونُ هَذَا إِخْبَارًا عَمَّا يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ كَلَامِ طَائِفَةٍ مِنَ الْكُفَّارِ،

وَ لَا يُنَافِي هَذَا كَوْنُ هَذِهِ السُّورَةِ مَكِّيَّةً،

وَ النِّفَاقُ إِنَّمَا كَانَ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهَا مِنَ الْأَعْرَابِ،

فَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ وُقُوعَ النِّفَاقِ فِي سُورَةٍ مَكِّيَّةٍ وَهِيَ الْعَنْكَبُوتُ،

فَقَالَ:{وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ} [الْعَنْكَبُوتِ: 11] ؛

وَعَلَى هَذَا فَيَكُونُ إِخْبَارًا عَنْ حَالِ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ،

حِينَ يُعَايِنُونَ الْعَذَابَ يَظْهَرُ لَهُمْ حينئذ

غِبُّ مَا كَانُوا يُبْطِنُونَ مِنَ الْكُفْرِ وَالشِّقَاقِ وَ النِّفَاقِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

○وَ أَمَّا مَعْنَى الْإِضْرَابِ فِي قَوْلِهِ: {وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}

فَهُم مَا طَلَبُوا الْعَوْدَ إِلَى الدُّنْيَا رَغْبَةً وَ مَحَبَّةً فِي الْإِيمَانِ،

بَلْ خَوْفًا مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي عَايَنُوهُ جَزَاءَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ، فَسَأَلُوا الرَّجْعَةَ إِلَى الدُّنْيَا لِيَتَخَلَّصُوا مِمَّا شَاهَدُوا مِنَ النَّارِ؛

وَ لِهَذَا قَالَ: {وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}

أَيْ: فِي تَمَنِّيهِمُ الرَّجْعَةَ رَغْبَةً وَ مَحَبَّةً فِي الْإِيمَانِ.

ثُمَّ قَالَ مُخْبِرًا عَنْهُمْ:-

إِنَّهُمْ لَوْ رُدُّوا إِلَى الدَّارِ الدُّنْيَا، لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ مِنَ الْكُفْرِ وَ الْمُخَالَفَةِ

وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾

(وَقَالُوا) منكرين للبعث

(إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا)

أي ما حقيقة الحال و الأمر و ما المقصود من إيجادنا إلا الحياة الدنيا وحدها

أَيْ: مَا هِيَ إِلَّا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا، ثُمَّ لَا مَعَادَ بَعْدَهَا؛

وَ لِهَذَا قَالَ:-

(وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ)

وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾

أي: (وَلَوْ تَرَىٰ) الكافرين

(إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ) لرأيت أمرا عظيما، و هَوْلا جسيما،

(قَالَ) لهم موبخا و مقرعا:

(أَلَيْسَ هَٰذَا) الذي ترون من العذاب

***أليس هذا المعاد بحق و ليس بباطل كما كنتم تظنون
***كقوله{أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ} [الطُّوْرِ: 15]

(بِٱلْحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ)

فأقروا، و اعترفوا حيث لا ينفعهم ذلك،

(قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ)

***بما كنتم تكذبون به

قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا
فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٣١

(قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ)

أي: قد خاب و خسر، و حُرِمَ الخير كله، من كَذَّب بلقاء الله،

فأوجب له هذا التكذيب:-

1-الاجتـــــراء على المحرمات،

2-و اقتـــــراف الموبقات

(حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً)

و هم على أقبح حال و أسوئه، فأظهروا غاية الندم.

و (قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا)

و لكن هذا تحسر ذهب وقته،

(وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ)

فإن وزرهم وزر يثقلهم، و لا يقدرون على التخلص منه،

و لهذا خلدوا في النار، و استحقوا التأبيد في غضب الجبار.

*{ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ }
[النحل:25]

وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٣٢

(وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ)

هذه حقيقة الدنيا و حقيقة الآخرة،

أما حقيقـــــة الدنيـــــا فـــــإنها:-

لعـــــب و لهـــــو،

لعـــــب في الأبـــــدان

و لهـــــو في القـــــلوب،

فـــــــــــــــ:-

*القلـــــوب لها والهـــــة،

*و النفـــــوس لها عاشقة،

*و الهمـــــــوم فيها متعلقة،

*و الاشتغــــــال بها كلعب الصبيان.

<u>و أمـــــا الآخــــــرة، فإنهـــــا:-</u>

(خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ)

في ذاتها و صفاتها، و بقائها و دوامها،

و فيها ما تشتهيه الأنفس، و تلذ الأعين، من نعيم القلوب و الأرواح،

و كثرة السرور و الأفراح،

و لكنها ليست لكل أحد،

و إنما هي للمتقين الذين يفعلون أوامر الله، و يتركون نواهيه و زواجره

(أَفَلَا تَعۡقِلُونَ)

أي: أفلا يكون لكم عقول، بها تدركون، أيّ الدارين أحق بــــــالإيثار.

قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ

يَجۡحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ

نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ

عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ

فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾

(قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ)

أي: قد نعلم أن الذي يقول المكذبون فيك يحزنك و يسوءك،

و لم نأمرك بما أمرناك به من الصبر إلا :–

لتحصل لك المنازل العالية و الأحوال الغالية.

فلا تظن أن قولهم صادر عن اشتباه في أمرك، و شك فيك.

(فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ)

لأنهم يعرفون صدقك، و مدخلك و مخرجك، و جميع أحوالك،

حتى إنهم كانوا يسمونه – قبل البعثة– الأميـــــن.

(وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ)

أي: فإن تكذيبهم لآيات الله التي جعلها الله على يديك .

(وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ)

فاصبر كما صبروا، تظفر كما ظفروا.

*{ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ } [يوسف110]

(وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ)

*** الَّتِي كَتَبَهَا بِالنَّصْرِ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، كَمَا قَالَ:

{وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} [الصَّافَّاتِ: 171 -173] ،

وَ قَالَ تَعَالَى:{كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الْمُجَادَلَةِ: 21]

(وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ)

***من خبرهم

○ما به يثبت فؤادك، و يطمئن به قلبك.

(وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ)

أي: شق عليك، من حرصك عليهم، و محبتك لإيمانهم،

فابذل وسعك في ذلك، فليس في مقدورك، أن تهدي من لم يرد الله هدايته.

(فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ)

(نَفَقٗا)

*الميسر :فإن استطعت أن تتخذ نفقًا في الأرض

***السَّرَبُ

(سُلَّمٗا)

*أو مصعداً تصعد فيه إلى السماء،

(فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖۚ)

فتأتيهم بعلامة وبرهان على صحة قولك غير الذي جئناهم به فافعل.

أي: فافعل ذلك، فإنه لا يفيدهم شيئا،

و هذا قطع لطمعه في هدايته أشباه هؤلاء المعاندين.

(وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ)

و لكن حكمته تعالى، اقتضت أنهم يبقون على الضلال.

*** كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا *أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} [يُونُسَ: 99]

(فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ)

الذين لا يعرفون حقائق الأمور، و لا ينزلونها على منازلها.

*الميسر:فلا تكونن -أيها الرسول- من الجاهلين الذين:-

اشتد حزنهم،

و تحسّروا حتى أوصلهم ذلك إلى الجزع الشديد.

۞إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَا
نُزِّلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةٗ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ
﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي
ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمّٞ وَبُكۡمٞ فِي
ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٩﴾ قُلۡ
أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ
صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ
﴿٤١﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾
فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا
كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ
شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾

۞إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴿٣٦﴾
وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةٗ
وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٧﴾

يقول تعالى لنبيه ﷺ: (إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ)

لدعوتك، و يلبي رسالتك، و ينقاد لأمرك و نهيك

(ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ)

بقلوبهم ما ينفعهم، و هم أولو الألباب و الأسماع.

و المراد بالسماع هنا:-

سماع القلب و الاستجابة، و إلا فمجرد سماع الأذن،

يشترك فيه البر و الفاجر.

فكل المكلفين قد قامت عليهم حجة الله تعالى، باستماع آياته،

فلم يبق لهم عذر، في عدم القبول.

***كقوله﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ يس: ٧٠

(وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ)

يحتمل أن المعنى، مقابل للمعنى المذكور. أي:-

إنما يستجيب لك أحياء القلوب،

و أما أموات القلوب، الذين لا يشعرون بسعادتهم، و لا يحسون بما ينجيهم،

فإنهم لا يستجيبون لك، و لا ينقادون، و موعدهم القيامة،

(يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ)

و يحتمل أن المراد بالآية، على ظاهرها،

و أن الله تعالى يقرر المعاد،

و أنه سيبعث الأموات يوم القيامة ثم ينبئهم بما كانوا يعملون.

و يكون هذا، متضمنا للترغيب في الاستجابة لله و رسوله،

و الترهيب من عدم ذلك.

(وَقَالُواْ) أي: المكذبون بالرسول، تعنتـــــا و عنـــــادا:-

يعنون بذلك آيات الاقتراح،التي يقترحونها بعقولهم الفاسدة و آرائهم الكاسدة.

كقولهم:

﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن
نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ
عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ
تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي
هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ الإسراء: ٩٠ - ٩٣

(قُلْ) مجيبا لقولهم

(إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً)

فليس في قدرته قصور عن ذلك كيف و جميع الأشياء منقادة لعزته مذعنة لسلطانه؟

(وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)

فهم لجهلهم و عدم علمهم يطلبون ما هو شر لهم من الآيات التي لو جاءتهم فلم يؤمنوا بها لعوجلوا بالعقاب كما هي سنة الله التي لا تبديل لها

و مع هذا فإن كان قصدهم الآيات التي تبين لهم الحق و توضح السبيل فقد أتى محمد ﷺ بكل آية قاطعة و حجة ساطعة دالة على ما جاء به من الحق بحيث يتمكن العبد في كل مسألة من مسائل الدين أن يجد فيما جاء به عدة أدلة عقلية و نقلية بحيث لا تبقي في القلوب أدنى شك و ارتياب

فتبارك الذي أرسل رسوله بالهدى و دين الحق و أيده بالآيات البينات

﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الأنفال: ٤٢

***كقوله﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ ﴾الإسراء: ٥٩

﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ ﴾الشعراء: ٤

وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾

(وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ)

أي :جميع الحيوانات، الأرضية و الهوائية، من البهائم و الوحوش و الطيور، كلها أمم أمثالكم خلقناها. كما خلقناكم،

و رزقناها كما رزقناكم،

و نفذت فيها مشيئتنا و قدرتنا، كما كانت نافذة فيكم.

(مَّا فَرَّطۡنَا)

أي: ما أهملنا و لا أغفلنا،

(فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ)

في اللوح المحفوظ شيئا من الأشياء،

بل جميع الأشياء، صغيرها و كبيرها، مثبتة في اللوح المحفوظ،

على ما هي عليه، فتقع جميع الحوادث طبق ما جرى به القلم.

و في هذه الآية، دليل على أن الكتاب الأول، قد حوى جميع الكائنات،

❍و هذا أحد مراتب القضاء و القدر، فإنها أربع مـــــــــراتب:-

1-علـــــم الله الشامل لجميع الأشياء،

2-و كتـــــابه المحيط بجميع الموجودات،

3-و مشيئتـــــه و قدرته النافذة العامة لكل شيء،

4-و خلقـــــه لجميع المخلوقات، حتى أفعال العباد.

❍و يحتمل أن المراد بالكتاب، هذا القرآن،

و أن المعنى كالمعنى في قوله تعالى

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾النحل: ٨٩

وقوله (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ)

أي: جميع الأمم تُحشر و تُجمع إلى الله في موقف القيامة، في ذلك الموقف العظيم الهائل،

فـــــــــــــــ:-

1-يجـــــازيهم بعدله و إحسانه،

2-و يمضـــــي عليهم حكمه الذي يحمده عليه الأولون و الآخرون، أهل السماء و أهل الأرض.

***قال بن عباس :إن حشرَها بعثُها يوم القيامة

﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾التكوير: ٥

وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾

(وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا)

هذا بيان لحال المكذبين بآيات الله، المكذبين لرسله،

[أنهم قد سدوا على أنفسهم باب الهدى، و فتحوا باب الردى،]

و أنهم (صُمٌّ)

عن سماع الحق

(وَبُكۡمٌ)

عن النطق به، فلا ينطقون إلا بباطل .

(فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ)

أي: منغمســــــــون في :-

[ظلمات الجهل، و الكفر، و الظلم، و العناد، و المعاصي.]

و هذا من إضلال الله إياهم،

ف (مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ)

لأنه المنفرد بالهداية و الإضلال، بحسب ما اقتضاه [فضله و حكمته.]

قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ

صَٰدِقِينَ ٤٠ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ

وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ ٤١

يقول تعالى لرسوله: (قُلۡ)

للمشركين بالله، العادلين به غيره:

(أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ)

***في الدنيا

(أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ)

***التي تبعثون فيها

(أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ)

أي: إذا حصلت هذه المشقات،و هذه الكروب، التي يُضْطَرُ إلى دفعها،

هل تدعون آلهتكم و أصنامكم

أم تدعون ربكم الملك الحق المبين.

(بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ)

فإذا كانت هذه حالكم مع أندادكم عند الشدائد، تنسونهم،

لعلمكم أنهم لا يملكون لكـــــــم:-

[ضرا و لا نفعا، و لا موتا، و لا حياة، و لا نشورا.]

و تخلصون لله الدعاء، لعلمكم أنه هو النافع الضار،المجيب لدعوة المضطر،

❍فما بالكم في الرخاء تشركون به، و تجعلون له شركاء؟.

هل دلكم على ذلك، عقل أو نقل، أم عندكم من سلطان بهذا؟

بل تفترون على الله الكذب؟

***كقوله﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾الإسراء: ٦٧

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ
إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ
حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾

يقول تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ)

من الأمم السالفين، و القرون المتقدمين، فكذبوا رسلنا، و جحدوا بآياتنا.

(فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ)

أي: بالفقر و المرض و الآفات، و المصائب، رحمة منا بهم.

(بِٱلْبَأْسَآءِ)

***الفقر و الضيق في العيش

(وَٱلضَّرَّآءِ)

***و هي الأمراض و الأسقام و الآلام

(لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ)

إلينا، و يلجأون عند الشدة إلينا.

(فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا)

*الميسر :فهلا إذ جاء هذه الأمم المكذبة بلاؤنا

(تَضَرَّعُواْ)

تذللوا لنا،

(وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ)

أي: استحجرت فلا تلين للحق.

(وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ)

*الميسر: ما كانوا يعملون من المعاصي، و يأتون من الشرك.

❍فظنوا أن ما هم عليه دين الحق، فتمتعوا في باطلهم بُرْهة من الزمان، و لعب بعقولهم الشيطان.

(فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ)

* الميسر:فلما تركوا العمل بأوامر الله تعالى معرضين عنها،

(فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ)

❍من الدنيا و لذاتها و غفلاتها.

***و هذا استدراج منه تعالي و إملاء لهم عياذا بالله من مكره

(حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ)

***من الأموال و الأولاد و الأرزاق

(أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ)

أي: آيسون من كل خير، و هذا أشد ما يكون من العذاب،

أن يؤخذوا على غرة، و غفلة و طمأنينة، ليكـــــــــــون:–

1–أشــــــــد لعقوبتهم،

2–و أعظــــــــــم لمصيبتهم.

*** مسند أحمد مخرجا

17311 عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:
«إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ»
ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ} [الأنعام: 44]

الاعجاز

(وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم)

http://quran-m.com/container2.php?fun=artview&id=1069

خلاصة كلام المفسرين:

الطيور و الدواب مثل بني البشر من حيث:-

1-أن الله رزاقهم و محييهم و مميتهم و أكتساب الرزق

2-و من حيث الطباع و السلوك و الأخلاق،

1-فمن الطيور من خلُقه السرقة

2-و منهم من طبعه الغدر

3-و منهم الوفي ومنهم المسالم ومنهم الشرس

4-و منهم الاستغلالي

5-و منهم الوفي لزوجته و منهم الخائن و منهم.. الخ.

مثال على الغش عند الحيوانات :

هناك سلوك يسميه العلماء بالتطفل

و لكن هو مثال صارخ عن الغش عند الحيوانات.

أما تعريف التطفل : هو سلوك تسلكه بعض أنواع من الطيور،

حيث تضع بيوضها في أعشاش أنواع أخرى من طيور

و يقوم الزوج المستضيف بحضانة البيوض و إطعام الفراخ حتى بلوغ مرحلة البلوغ

و من أشهر الأمثلة على ذلك هو:-

1- تصرف طائر الوقواق Common Cuckoo **الرمادي الذي يتطفل على أعشاش بعض أنواع الطيور**

2-و هناك مثال آخر هو طائر السنونو ذات الرأس الأسود

و التي تضع البيوض في أعشاش طيور النورس و طيور البط،

و من أهم الفصائل التي تلجئ إلى هذا السلوك هي:

Cuculidae، Indicatoridae، Icterinae، Estrildidae، Anatidae،

و كذلك يظهر هذا السلوك السمندرات، الأسماك و حتى الحشرات.



طائر Acrocephalus يقوم بتغذية ما يظنه فرخه و هو فرخ طائر الوقواق وهذه الظاهر تدعى التطفل في الحضانة

كيفية و ضع البيوض في أعشاش الطيور الأخرى:

إن عملية وضع البيوض في أعشاش الطيور الأخرى تخبرنا أن الطيور التي قامت بذلك هي الأخرى تمت تربيتها بنفس الطريقة حيث وضعت في أعشاش مضيفة حتى وصلت إلى سن البلوغ

- و قد طورت هذه الطيور أساليب لفعل ذلك حيث غالبا ما تقوم أنثى الطير بهذه العملية حيث تقوم بها في أقصى درجات السرية و بعد مراقبة شديدة لمجموعة من الأعشاش المستهدفة و حلت طائر الوقواق فإن الذكر يتدخل للتمويه حيث يبدأ بالغناء بالقرب من العش الهدف لإلهاء أصحاب العش و تقوم الأنثى بوضع البيض فيه.
- و بعض الطيور الأخرى تقوم بتحطيم إحدى البيوض و وضع بيضتها مكانها وهذا لإخفاء الزيادة في عدد البيوض التي من الممكن أن ينتبه إليها

الطير المضيف، و تتم عملية الوضع في وقت وجيز حيث لا تتعدى ثلاث ثواني عند بعض الأنواع في حين تأخذ العملية عدة دقائق في الحالة العادية عند الطيور.

كما أن نمو فراخ الطيور المتطفلة يكون أسرع بكثير من نمو فراخ الطيور المضيفة مما يؤثر في عملية التغذية

و بالتالي فهي تحصل على النصيب الأكبر لأنها اكبر من حيث الحجم و اقوي من الفراخ الأخرى للطير المضيف.

3-يقوم طائر الفرقاط (Frigatebird) بسرقة طعام فراخ طائر زرقاء القدمين (Blue-footed Booby)

فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ
سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ
نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ
جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ
وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ
ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ
يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن
يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ
ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن
شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾

فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾

(فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ)

*الميسر: فاستؤصل هؤلاء القوم و أُهلكوا

إذ كفروا بالله و كذّبوا رسله، فلم يبق منهم أحد.

أي اصطلموا(Î) بالعذاب، و تقطعت بهم الأسباب.

(وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)

على ما قضاه و قدره، من هلاك المكذبين.

فإن بذلك، تتبين آياته، و إكرامه لأوليائه، و إهانته لأعدائه،

و صدق ما جاءت به المرسلون.

قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم

بِهِۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ

عَذَابُ ٱللَّهِ بَغۡتَةً أَوۡ جَهۡرَةً هَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾

يخبر تعالى، أنه كما أنه هو المتفرد بخلق الأشياء و تدبيرها،

فإنه المنفرد بالوحدانية و الإلهية فقال:

(قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم)

فبقيتم بلا سمع و لا بصر و لا عقل

***فإنه ﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۖ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾
الملك: ٢٣

***وَ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا عِبَارَةٌ عَنْ مَنْعِ الِانْتِفَاعِ بِهِمَا الِانْتِفَاعَ الشَّرْعِيَّ؛

استؤصل

وَ لِهَذَا قَالَ: {وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ}
كَمَا قَالَ: {أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأبْصَارَ} [يُونُسَ: 31] ،
وَ قَالَ: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ} [الْأَنْفَالِ: 24]

(مَّنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِهِۗ)

فإذا لم يكن غير الله يأتي بذلك،

فلم عبدتم معه من لا قدرة له على شيء إلا إذا شاءه الله.

و هذا من أدلة التوحيد و بطلان الشرك، و لهذا قال:

(ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ)

أي: ننوعها، و نأتي بها في كل فن، و لتنير الحق، و تتبين سبيل المجرمين.

(ثُمَّ هُمۡ)

مع هذا البيان التام

(يَصۡدِفُونَ)

عن آيات الله، و يعرضون عنها.

(قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ)

أي: أخبروني

(إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغۡتَةً)

أي: مفاجأة

(أَوْ جَهْرَةً)

أو قد تقدم أمامه مقدمات، تعلمون بها وقوعه.

(هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ)

الذين صاروا سببا لوقوعِ العذاب بهم، بظلمهم و عنادهم.

فاحذروا أن تقيموا على الظلم، فإنه الهلاك الأبدي، و الشقاء السرمدي.

وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾

(وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ)

يذكر تعالى، زبدة ما أرسل به المرسلين؛ أنه البشارة و النذارة،

و ذلك مستلزم لبيـــــان:-

1-المُبَشْـــــــر و المُبَشْـــــــر به،

2-و الأعمـــــــال التي إذا عملها العبد، حصلت له البشارة.

3-و المُنْـــــذر و المُنْـــــذر به،

4-و الأعمـــــــال التي من عملها، حقت عليه النذارة.

و لكن الناس انقسموا – بحسب إجابتهم لدعوتهم و عدمها- إلى قسمين:

1-(فَمَنْ ءَامَنَ)

أي: آمن بالله و ملائكته، و كتبه، و رسله و اليوم الآخر،

و (وَأَصۡلَحَ)

إيمـــــانه و أعمـــــاله و نيتــــــه

(فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ)

فيما يستقبــــــل

(وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ)

على ما مضــــــى.

2-(وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلۡعَذَابُ)

أي: ينـــــالهم، و يــــــذوقونه

(بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ) .

قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ٥٠

يقول تعالى لنبيه ﷺ؛ المقترحين عليه الآيات،

أو القائلين له:–إنما تدعونا لنتخذك إلها مع الله.

(قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ)

أي: مفاتيح رزقه و رحمته.

(وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ)

و إنما ذلك كله عند الله فهو الذي

(ما يفتح للناس مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ)

و هو وحده عالم الغيب و الشهادة

فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول.

(وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌ)

فأكون نافذ التصرف قويا، فلست أدعي فوق منزلتي، التي أنزلني الله بها.

(إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ)

أي: هذا غايتي و منتهى أمري و أعلاه، إن أتبع إلا ما يوحى إلي،

فـــــــــــــــــــــــــ:-

1-أعمـــــــــــل به في نفسي،

2-و أدعـــــــــــو الخلق كلهم إلى ذلك.

❍فإذا عَرَفْتَ منزلتي، فلأي شيء يبحث الباحث معي،

أو يطلب مني أمرا لست أدعيه، و هل يلزم الإنسان، بغير ما هو بصدده؟.

و لأي شيء إذا دعوتكم، بما أوحي إلي أن تلزموني أني أدعي لنفسي غير مرتبتي.

و هل هذا إلا ظلم منكم، و عناد، و تمرد؟

قل لهم في بيان الفرق، بين من قبل دعوتي، و انقاد لما أوحي إلي،

و بين من لم يكن كذلك

(قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ)

*الميسر: هل يستوي الكافر الذي عَمِي عن آيات الله تعالى فلم يؤمن بها

(وَٱلۡبَصِيرُۚ)

و المؤمن الذي أبصر آيات الله فآمن بها؟

(أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ)

* أفلا تتفكرون في آيات الله؛ لتبصروا الحق فتؤمنوا به ؟

فتنزلون الأشياء منازلها، و تختارون ما هو أولى بالاختيار و الإيثار؟

***كقوله ﴿ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ الرعد: ١٩

وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾

(وَأَنذِرۡ بِهِ)

هذا القرآن نذارة للخلق كلهم، و لكن إنما ينتفع به

(ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ)

فهم متيقنون للانتقال، من هذه الدار، إلى دار القرار،

فلذلك يستصحبون ما ينفعهم و يدَعُون ما يضرهم.

(لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ)

أي: لا من دون الله

(وَلِيّٞ)

أي: من يتولى أمرهم فيحصّل لهم المطلوب، و يدفع عنهم المحذور،

(وَلَا شَفِيعٞ)

و لا من يشفع لهم، لأن الخلق كلهم، ليس لهم من الأمر شيء.

(لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ)

الله، بامتثال أوامره، و اجتناب نواهيه،

فإن الإنذار موجب لذلك، و سبب من أسبابه.

(وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ)

***جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:**

صحيح مسلم

(2413) عَنْ سَعْدٍ بن أبي وقاص "

فِيّ نَزَلَتْ: {وَلَا تَطْرُدِ الّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيّ }
[الأنعام:52] قَالَ:-
نَزَلَتْ فِي ستّة:-
أَنَا و ابْنُ مَسْعُودٍ مِنْهُمْ، وَ كَانَ الْمُشْرِكُونَ قَالُوا لَهُ: تُدْنِي هَؤُلَاءِ "
* حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة عن سعد قال:-
كنا مع النبي ﷺستة نفر فقال المشركون للنبي ﷺ:-
اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا.
قال: و كنت أنا و ابن مسعود ورجل من هذيل و بلال و رجلان لست أسميهما
فوقع في نفس رسول الله ﷺما شاء الله أن يقع فحدث نفسه
فأنزل الله عز وجل
{وَلا تَطْرُدِ الّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ}
()

❍أي: لا تطرد عنك، و عن مجالستك، أهل العبادة و الإخلاص،
رغبة في مجالسة غيرهم، من الملازمين لدعاء ربهم،

❍دعاء العبادة :-

بالذكر و الصلاة و نحوها

❍و دعاء المسألة:-

الحديث أخرجه ابن ماجه رقم 4128 وابن جرير ج7 ص202 والحاكم في المستدرك ج3 ص319 وقال صحيح على شرطهما وأقره الذهبي وأبو نعيم في الحلية ج1 ص345 وص346 وابن أبي حاتم ج3 ص72 والواحدي في أسباب النزول.

في أول النهار و آخره،

(يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ)

و هم قاصدون بذلك وجه الله،

ليس لهم من الأغراض سوى ذلك الغرض الجليل،

فهؤلاء ليسوا مستحقين للطرد و الإعراض عنهم،

بل مستحقون لموالاتهم و محبتهم، و إدنائهم، و تقريبهم،

لأنهـــــــــم :-

1-الصفـــــوة من الخلق و إن كانوا فقراء،

2-و الأعـــــزاء في الحقيقة و إن كانوا عند الناس أذلاء.

(مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ)

أي: كلٌّ له حسابه، و له عمله الحسن، و عمله القبيح.

(فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ)

و قد امتثل ﷺ هذا الأمر، أشد امتثال،

فكان إذا جلس الفقراء من المؤمنين:-

1-صَبَّـــــر نفسَه معهم،

2-و أحســــــن معاملتهم،

3-و ألان لهـــــم جانبه،

4-و حســــــن خلقَه،

5-و قـــــــربهم منه،

بل كانوا هم أكثر أهل مجلسه رضي الله عنهم.

❍و كان سبب نزول هذه الآيات، أن أناسا من قريش، أو من أجلاف العرب قالوا للنبي ﷺ:-

إن أردت أن نؤمن لك و نتبعك، فاطرد فلانا و فلانا، أناسا من فقراء الصحابة،

فإنا نستحيي أن ترانا العرب جالسين مع هؤلاء الفقراء،

فحمله حبه لإسلامهم، و اتباعهم له،

فحدثته نفسه بذلك. فعاتبه الله بهذه الآية و نحوها.

وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ
ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ
عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ
ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ
وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلۡ إِنِّي
عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبۡتُم بِهِۦۚ مَا عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦٓۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ
إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوۡ أَنَّ عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦ
لَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۗ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ۞ وَعِندَهُۥ
مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن
وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ
إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾

وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ
ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ

عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ
ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٤ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ
وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٥٥

(وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ)

أي: هذا من ابتلاء الله لعباده،

حيث جعل بعضهم غنيا؛ و بعضهم فقيرا، و بعضهم شريفا، و بعضهم وضيعا،

فإذا مَنَّ الله بالإيمان على الفقير أو الوضيع؛

كان ذلك محل محنة للغني و الشريف

فإن كان قصده الحق و اتباعه، آمن و أسلم،

و لم يمنعه من ذلك مشاركه الذي يراه دونه بالغنى أو الشرف،

و إن لم يكن صادقا في طلب الحق، كانت هذه عقبة ترده عن اتباع الحق.

و قالوا محتقرين لمن يرونهم دونهم:

(أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ)

فمنعهم هذا من اتباع الحق، لعدم زكائهم،

قال الله مجيبا لكلامهم المتضمن الاعتراض على الله في هداية هؤلاء،

و عدم هدايتهم هم.

*** مَا كَانَ اللَّهُ لِيَهْدِيَ هَؤُلَاءِ إِلَى الْخَيْرِ -لَوْ كَانَ مَا صَارُوا إِلَيْهِ خَيْرًا - وَ يَدَعَنَا، كَمَا قَالُوا: {لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ} [الْأَحْقَافِ: 11] ،

وَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا} [مَرْيَمَ: 73] .

(أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّـٰكِرِينَ)

الــــــــذين :-

1-يعـــــــــرفون النعمة،

2-و يــــــــــقرون بها،

3-و يقـــــــــومون بما تقتضيه من العمل الصالح،

فيضع فضله و منته عليهم، دون من ليس بشاكر،

فإن الله تعالى حكيم، لا يضع فضله عند من ليس له بأهل،

و هؤلاء المعترضون بهذا الوصف، بخلاف من مَنَّ الله عليهم بالإيمان،

من الفقراء و غيرهم فإنهم هم الشاكرون.

و لما نهى الله رسولَه، عن طرد المؤمنين القانتين،

أمَره بمقابلتهم بالإكرام و الإعظام، و التبجيل و الاحترام،

فقال: (وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ)

أي: و إذا جاءك المؤمنون، فـــــــــــ:-

1-حَيِّهـــــــــــم و رحِّب بهم

2-و لَقِّهـــــــــــم منك تحية و سلاما،

3-و بشـــــــــــرهم بما ينشط عزائمهم و هممهم، من:-

رحمـــــة الله،

و سَعـــــة جوده و إحسانه،

4–و حثهـــــــــم على كل سبب و طريق، يوصل لذلك.

5–و رَهِّبْهـــــــــم من الإقامة على الذنوب،

6–و أْمُرْهـــــــم بالتوبة من المعاصي،لينـــالوا مغفرة ربهم و جُوْدِه،

و لهذا قال:

(كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ)

*** قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: كُلُّ مَنْ عَصَى اللَّهَ فَهُوَ جَاهِلٌ.

(ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ)

أي: فلا بد مع ترك الذنوب و الإقلاع، و الندم عليها، مـــــــــن:–

1–إصـــــــــلاح العمل،

2–و أداء ما أوجب الله،

3–و إصـــــــــلاح ما فسد من الأعمال الظاهرة و الباطنة.

فإذا وجد ذلك كله (فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)

أي: صب عليهم من مغفرته و رحمته، بحسب ما قاموا به، مما أمرهم به.

(وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ)

أي: نوضحها و نبينها، و نميز بين طريق الهدى من الضلال، و الغي و الرشاد،

لـــــــــــــــ:–

1–يهتـــــــــدي بذلك المهتدون،

2–و يتبيـــــــن الحق الذي ينبغي سلوكه.

(وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ)

***و لتظهر طريق المجرمين المخالفين للرسل

الموصلة إلى سخط الله و عذابه،

فإن سبيل المجرمين إذا استبانت و اتضحت، أمكن اجتنابها، و البعد منها، بخلاف ما لو كانت مشتبهة ملتبسة،

فإنه لا يحصل هذا المقصود الجليل.

قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ
ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم
بِهِۦۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ خَيْرُ
ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي
وَبَيْنَكُمْۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾

يقول تعالى لنبيه ﷺ: (قُلْ)

لهؤلاء المشركين الذين يدعون مع الله آلهة أخرى:

(إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ)

من الأنداد و الأوثان، التـــــــــي :-

لا تملك نفعا و لا ضرا، و لا موتا و لا حياة و لا نشورا، فإن هذا باطل، و ليس لكم فيه حجة بل و لا شبهة، و لا اتباع الهوى الذي اتباعه أعظم الضلال،

و لهذا قال (قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا)

أي: إن اتبعت أهواءكم

(وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ)

بوجه من الوجوه. و أما ما أنا عليه، من توحيد الله و إخلاص العمل له، فإنه هو الحق الذي تقوم عليه البراهين و الأدلة القاطعة.

(قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي)

***علي بصيرة من شريعة الله التي أوحاها الله إليَّ

أي: على يقين مبين، بصحته، و بطلان ما عداه،

و هذه شهادة من الرسول جازمة، لا تقبل التردد،

و هو أعدل الشهود على الإطلاق. فَصَّدق بها المؤمنون،

و تبين لهم من صحتها و صدقها، بحسب ما مَنَّ الله به عليهم.

(وَكَذَّبۡتُم بِهِۦۚ)

(وَ) لكنكم أيها المشركون –

و هو لا يستحق هذا منكم، و لا يليق به إلا التصديق،

و إذا استمررتم على تكذيبكم،

فاعلموا أن العذاب واقع بكم لا محالة، و هو عند الله،

هو الذي ينزله عليكم، إذا شاء، و كيف شاء،

(مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ)

و إن استعجلتم به، فليس بيدي من الأمر شيء

(إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ)

فكما أنه هو الذي حكم بالحكم الشرعي، فأمر و نهى،

فإنه سيحكم بالحكم الجزائي، فيثيب و يعاقب، بحسب ما تقتضيه حكمته.

فالاعتراض على حكمه مطلقا مدفوع،

(يَقُصُّ ٱلْحَقَّ)

و قد أوضح السبيل، و قص على عباده الحق قصا،

1-قطـــــــــع به معاذيرهم،

2-و انقطـــــــــعت له حجتهم،

لـــــــــ:-

1-يـــــــــهلك من هلك عن بينة،

2-و يحيـــــــا من حي عن بينة

*****إنما يرجع أمر ذلك الي الله إن شاء عجَّل لكم ما سألتموه**

و إن شاء أنظركم و أجَّلكم لما له في ذلك من الحكمة العظيمة

(وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ)

بين عباده، في الدنيا و الآخرة، فيفصل بينهم فصلا يحمده عليه،

حتى من قضى عليه، و وجه الحق نحوه.

***و هو خير من فصل القضايا و خير الفاتحين في الحكم بين عباده

(قُل) للمستعجلين بالعذاب، جهلا و عنادا و ظلما،

(لَّوۡ أَنَّ عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۗ)

فأوقعته بكم و لا خير لكم في ذلك،

و لكن الأمر، عند الحليم الصبور،

الذي يعصيه العاصون،

و يتجرأ عليه المتجرئون،

و هو يعافيهم، و يرزقهم،

و يسدي عليهم نعمه، الظاهرة و الباطنة.

(وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ)

لا يخفى عليه من أحوالهم شيء، فيمهلهم و لا يهملهم.

۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ

*** صحيح البخاري

1039 عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

مِفْتَاحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لاَ يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ:

1-لاَ يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي غَدٍ،

2-وَ لاَ يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي الأَرْحَامِ،

3-وَ لاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا،

4-وَ مَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ،

5-وَ مَا يَدْرِي أَحَدٌ مَتَى يَجِيءُ المَطَرُ "

***كقوله﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ

﴾ لقمان: ٣٤

هذه الآية العظيمة، من أعظم الآيات تفصيلا لعلمه المحيط،

و أنه شامل للغيوب كلها، التي يطلع منها ما شاء من خلقه.

و كثير منها طوى علمه عن الملائكة المقربين، و الأنبياء المرسلين،

فضلا عن غيرهم من العالمين،

و أنه يعلم ما في البراري و القفار، من الحيوانات، و الأشجار، و الرمال و الحصى، و التراب، و ما في البحار من حيواناتها، و معادنها، و صيدها، و غير ذلك مما تحتويه أرجاؤها، و يشتمل عليه ماؤها.

(وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ)

من أشجار البر و البحر، و البلدان و القفر، و الدنيا و الآخرة

(إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ)

من حبوب الثمار و الزروع، و حبوب البذور التي يبذرها الخلق؛

و بذور النوابت البرية التي ينشئ منها أصناف النباتات.

(وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ)

هذا عموم بعد خصوص

(إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ)

و هو اللوح المحفوظ، قد حواها، و اشتمل عليها،

و بعض هذا المذكور، يبهر عقول العقلاء، و يذهل أفئدة النبلاء،

فدل هذا على عظمة الرب العظيم و سعته، في أوصافه كلها.

و أن الخلق – من أولهم إلى آخرهم– لو اجتمعوا على أن يحيطوا ببعض

صفاته، لم يكن لهم قدرة و لا وسع في ذلك،

فتبارك الرب العظيم، الواسع العليم، الحميد المجيد، الشهيد، المحيط.

وجل مِنْ إله، لا يحصي أحد ثناء عليه،

بل كما أثنى على نفسه، و فوق ما يثني عليه عباده،

فهذه الآية، دلـــــــــت على:–

1–علمه المحيط بجميع الأشياء،

2–و كتابه المحيط بجميع الحوادث.

وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ
لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٦٠ وَهُوَ
ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ
رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ٦١ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ
أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ٦٢ قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ
لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٣ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ
ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ٦٤ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ
أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ
يَفۡقَهُونَ ٦٥ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ٦٦ لِّكُلِّ نَبَإٖ
مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٦٧ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ
يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ
فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٦٨

وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ
لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٦٠

وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ

تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾

ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾

***كقوله ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ

وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ القصص: ٧٣

هـــــذا كلـــــه:

1-تقـــــرير لألوهيته،

2-و احتجــــاج على المشركين به،

3-و بيــــان أنه تعالى المستحق للحب و التعظيم، و الإجلال و الإكرام،

(وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ)

فأخبر أنه وحده، المتفرد بتدبير عباده، في يقظتهم و منامهم،

و أنه يتوفاهم بالليل، [وفـــاة النـــوم]

فتهـــدأ حركاتهم،

و تستـــريح أبدانهم،

و يبعثهم في اليقظة من نومهم، ليتصرفوا في مصالحهم الدينية و الدنيوية

(وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ)

*****أي في النهار**

و هو –تعالي– يعلم ما جرحوا و ما كسبوا من تلك الأعمال.

(ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ)

*الميسر :ثم يعيد أرواحكم إلى أجسامكم باليقظة من النوم نهاراً بما يشبه الأحياء بعد الموت؛

(لِيُقۡضَىٰٓ)

فيقضى بهذا التدبير،

(أَجَلٞ مُّسَمّٗى)،

و هو: أجل الحياة،

و أجل آخر فيما بعد ذلك، و هو [البعـــــث بعد المـــــوت]

و لهذا قال: (ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ)

***يوم القيامة

❍لا إلى غيره

(ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ)

من خير و شر.

(وَهُوَ) تعالى

(ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ)

*** هُوَ الَّذِي قَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ، وَ خَضَعَ لِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ وَ كِبْرِيَائِهِ كُلُّ شَيْءٍ.

❍ينفذ فيهم إرادته الشاملة، و مشيئته العامة،

فليسوا يملكون من الأمر شيئا،

و لا يتحركون و لا يسكنون إلا بإذنه،

{وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً }

❍و مع ذلك، فقد وكل بالعباد حفظةً من الملائكة، :-

1-يحفظـــــــــون العبد

كَمَا قَالَ تَعَالَى {لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ}
[الرَّعْدِ: 11] ،

2-و يحفظـــــــــون عليه ما عمل(((***وَ يُحْصُونَهُ عَلَيْهِ)))

كما قال تعالى:

{وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ}
[الِانْفِطَارِ: 10 -12] ،

وَ قَالَ: {عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق: 17، 18] .

❍فهذا حفظه لهم في حال الحياة

(حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا)

أي الملائكة الموكلون بقبض الأرواح

(وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ)

في ذلك فلا يزيدون ساعة مما قدره الله و قضاه و لا ينقصون

و لا ينفذون من ذلك إلا بحسب المراسيم الإلهية و التقادير الربانية

*** فِي حِفْظِ رُوحِ الْمُتَوَفَّى،

بَلْ يَحْفَظُونَهَا وَ يُنْزِلُونَهَا حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ:-

1-إِنْ كَانَ مِنَ الْأَبْرَارِ فَفِي عِلِّيِّينَ،

2-وَ إِنْ كَانَ مِنَ الْفُجَّارِ فَفِي سِجِّينٍ، عِيَاذًا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ.

(ثُمَّ)

بعد الموت و الحياة البرزخية و ما فيها من الخير و الشر

(رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ)

أي الــــــــذي :–

1–تولاهم بحكمه القدري فنفذ فيهم ما شاء من أنواع التدبير

2–ثم تــــــــولاهم بأمــــره و نهيـــــه

3–و أرســــــــل إليهم الرسل

4–و أنــــــزل عليهم الكتب

ثــــــــم ردوا إليه لـــــــــــ:–

1–يتــــــــولى الحكم فيهم بالجزاء

2–و يثيبهـــــــــم على ما عملوا من الخيرات

3–و يعاقبهـــــــــم على الشرور و السيئات

وَ لهذا قال (أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ)

*الميسر: ألا له القضاء والفصل يوم القيامة بين عباده

❍وحده لا شريك له

(ثُمَّ رُدُّوٓاْ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ)

* الجزائري : لا يحتاج إلى فكرة وروية و لا عقد يدٍ.

* شرح السنة للبغوي:

وَ قَالَ اللّهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: {إِنّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}[إِبْرَاهِيم:51]،

أَي: حسابه وَاقع لَا محَالة،

و كل مَا هُوَ وَاقع لَا محَالة، فَهُوَ سريع،

وَ قِيلَ: سرعَة حسابه أَنّهُ لَا يشْغلهُ حِسَاب وَاحِد عَنْ حِسَاب الآخر،

لَا يشْغلهُ سمع عَنْ سمع، فَهُوَ أسْرع الحاسبين.

❍لكمال علمه و حفظه لأعمالهم بما أثبته في اللوح المحفوظ

ثم أثبتته ملائكته في الكتاب الذي بأيديهم

فإذا كــــــان تعالى هـــــــو :-

1-المنفـــــــرد بالخلق و التدبير

2-و هو القــــــاهر فوق عباده

3-و قد اعتنـــــــى بهم كل الاعتناء في جميع أحوالهم

4-و هو الذي له الحكم القدري و الحكم الشرعي و الحكم الجزائي

[فأين للمشركين العدولُ عن من هذا و صفه و نعته إلى عبادة من ليس له من الأمر شيء و لا عنده مثقال ذرة من النفع و لا له قدرة و إرادة ؟]

أما و الله لو علموا حلم الله عليهم و عفوه و رحمته بهم

و هـــــــم:–

1–يبـــــارزونه بالشرك و الكفران

2–و يتجـــــــرءون على عظمته بالإفك و البهتان

و هو يعافيهـــــم و يرزقهـــــم

لـــــــــــــ:–

1–انجــــــذبت دواعيهم إلى معرفته

2–و ذهلـــــــت عقولهم في حبه

3–و لمقتـــــــوا أنفسهم أشد المقت

[حيث انقادوا لداعي الشيطان الموجب للخزي و الخسران]

و لكنهم قوم لا يعقلون.

***كقوله﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ٤٩ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴾

الواقعة: ٤٩ - ٥٠

قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ
لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٣ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ٦٤

(قُلۡ)

أي للمشركين بالله، الداعين معه آلهة أخرى،

ملزما لهم بما أثبتوه من توحيد الربوبية، على ما أنكروا من توحيد الإلهية

(مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ)

أي: شدائدهما و مشقاتهما، و حين يتعذر أو يتعسر عليكم وجه الحيلة،

(تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً)

***جهرا و سرا

فتدْعون ربكم تضرعا بقلب خاضع، و لسان لا يزال يلهج بحاجته في الدعاء،

و تقولون و أنتم في تلك الحال:-

(لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ) الشدة التي وقعنا فيها

(لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ)

لله، أي المعترفين بنعمته، الواضعين لها في طاعة ربهم،

الذين حفظوها عن أن يبذلوها في معصيته.

(قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ)

أي: من هذه الشدة الخاصة، و من جميع الكروب العامة.

(ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ)

لا تفون لله بما قلتم، و تنسون نعمه عليكم،

فأي برهان أوضح من هذا على بطلان الشرك، و صحة التوحيد؟

***تدعون معه في حال الرفاهية آلهة أخري

﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ
شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾
وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾
لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾

***صحيح البخاري
4628 عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ:
{قُلْ هُوَ القَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ} [الأنعام: 65]،
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»،
قَالَ: {أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ} [الأنعام: 65]،
قَالَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»
{أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ} [الأنعام: 65]
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا أَهْوَنُ - أَوْ هَذَا أَيْسَرُ -»( )

(قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا)

أي هو تعالى قادر على إرسال العذاب إليكم من كل جهة.

(مِّن فَوْقِكُمْ)

(من فوقكم) كالحجارة التي أرسلت على قوم لوط والماء المنهمر الذي أنزل على قوم نوح فأغرقهم وغير ذلك. (أعوذ بوجهك) أستجير بك وألتجئ إليك. (من تحت أرجلكم) كالخسف بقارون وإغراق آل فرعون. (يلبسكم شيعا) يجعلكم فرقا متخالفين. (يذيق بعضكم بأس بعض) يسلط بعضكم على بعض بالعذاب والقتل وغيره والبأس القوة والشدة ويطلق على الحرب والعذاب (هذا أهون) أي فتنة الخلق وتسليط بعضكم على بعض أهون من عذاب الله تعالى]

***الرجم

(أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ)

***الخسف

يشهد له قوله:-

﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴾ الملك: ١٦ - ١٧

(أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا)

أي: يخلطكم

*** يَجْعَلَكُمْ مُلْتَبِسِينَ شِيَعًا فِرَقًا مُتَخَالِفِينَ.

*** عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: يَعْنِي: الْأَهْوَاءَ

(وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ)

***يسلط بعضكم علي بعض بالعذاب و القتل

أي: في الفتنة، و قتل بعضكم بعضا. فهو قادر على ذلك كله،

فاحذروا من الإقامة على معاصيه، فيصيبكم من العذاب ما يتلفكم و يمحقكم،

و مع هذا فقد أخبر أنه قادر على ذلك.

و لكن من رحمته، أن رفع عن هذه الأمة العذاب من فوقهم بـــــــــ:-

1-الـــــــــرجم

2–و الحصـــــــــب، و نحوه،

3–و من تحت أرجلهم بالخسف.

و لكن عـــــــــاقب من عـــــــــاقب منهم، بأن :–

1–أذاق بعضهم بأس بعض،

2–و سلط بعضهم على بعض، عقوبة عاجلة يراها المعتبرون،

و يشعر بها العالمون .

(ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ)

أي: ننوعها، و نأتي بها على أوجه كثيرة و كلها دالة على الحق.

(لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ)

أي: يفهمـــــــــون ما خلقوا من أجله، و يفقهـــــــــون:–

1– الحقـــــــــائق الشرعية،

2–و المطـــــــــالب الإلهية.

(وَكَذَّبَ بِهِۦ)

أي: بالقرآن

(قَوۡمُكَ)

***قريشا

(وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ)

الذي لا مرية فيه، و لا شك يعتريه.

(قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ)

أحفظ أعمالكم، و أجازيكم عليها، و إنما أنا منذر و مُبلغ.

(لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ)

أي: وقت يستقر فيه، و زمان لا يتقدم عنه و لا يتأخر.

*** أَيْ لِكُلِّ نَبَأٍ حَقِيقَةٌ، أَيْ: لِكُلِّ خَبَرٍ وُقُوعٌ، وَ لَوْ بَعْدَ حِينٍ،
كَمَا قال: {وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ} [ص: 88] ،
وَ قَالَ {لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ} [الرَّعْدِ: 37] .

(وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) ما توعدون به من العذاب.

وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾

المراد بالخوض في آيات الله:-

1- التكلم بما يخالف الحق، من تحسين المقالات الباطلة، و الدعوة إليها، و مدح أهلها،

2-و الإعراض عن الحق، و القدح فيه و في أهله،

فأمر الله رسوله أصلا و أمته تبعا،

إذا رأوا من يخوض بآيات الله بشيء مما ذكر، بـــــــــ:-

(فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ)

1-الإعـــــــراض عنهم،

*الميسر:، فابتعد عنهم حتى يأخذوا في حديث آخر،

2-و عــــــــدم حضور مجالس الخائضين بالباطل،

و الاستمرار على ذلك،

حتى يكون البحث و الخوض في كلام غيره،

فإذا كان في كلام غيره، زال النهي المذكور.

فإن كان مصلحة كان مأمورا به،

و إن كان غير ذلك، كان غير مفيد و لا مأمور به،

و في ذم الخوض بالباطل، حث على البحث، و النظر، و المناظرة بالحق.

ثم قال: (وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ)

أي: بأن جلست معهم، على وجه النسيان و الغفلة.

(فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ)

***بعد التذكر

(مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ)

يشمل الخائضين بالباطل، و كل متكلم بمحرم، أو فاعل لمحرم،

فإنه يحرم الجلوس و الحضور عند حضور المنكر،

[الذي لا يقدر على إزالته.]

○هذا النهـــــــي و التحـــــريم،

<u>لمن جلس معهم،و لم يستعمل تقوى الله، بـــــــأن:-</u>

1-كـــــان يشاركهم في القول و العمل المحرم،

2-أو يسكـــــــت عنهم، و عن الإنكار،

<u>فإن استعمل تقوى الله تعالى، بــــــأن:-</u>

1-كـــــان يأمرهم بالخير،

2-و ينهــــــاهم عن الشر و الكلام الذي يصدر منهم،

➜فيترتب على ذلك زوال الشر أو تخفيفه،

فهذا ليس عليه حرج و لا إثم، و لهذا قال:

وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ
يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۚ
وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسُۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا
شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ
لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن
دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي
ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَاۗ قُلْ
إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُواْ
ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّۚ وَلَهُ
ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ
وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ

*الميسر:و ما على المؤمنين الذين يخافون الله تعالى،

فيطيعون أوامره،

و يجتنبون نواهيه من حساب الله للخائضين المستهزئين بآيات الله من شيء

(وَلَٰكِن ذِكۡرَىٰ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ)

أي: و لكن ليذكرهم، و يعظهم، لعلهم يتقون الله تعالى.

و في هذا دليـــــــل على :-

أنه ينبغي أن يستعمل المذَكِّرُ من الكلام،

ما يكون أقرب إلى حصول مقصود التقوى.

و فيه دليـــــــل على أنه:-

إذا كان التذكيـــــــر و الـــــــوعظ،مما يزيد الموعوظ شرا إلى شره،

إلى أن تركـــــه هـــــو:-[الواجـــــب]

لأنه إذا ناقض المقصود، كان تركه مقصودا.

وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ
أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ وَإِن تَعۡدِلۡ
كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ
حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٧٠

(وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ)

*الميسر :و اترك -أيها الرسول- هؤلاء المشركين الذين جعلوا دين الإسلام لعبًا و لهوًا؛ مستهزئين بآيات الله تعالى،

(وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ)

*بزينتها،

المقصود من العباد، أن يخلصوا لله الدين، بـــــــــأن :-

1-يعبــــــــــدوه وحده لا شريك له،

2-و يبـــــــــذلوا مقدورهم في مرضاته و محابه.

و ذلك متضمـــــــــــن:-

1-لإقبـــــــــال القلب على الله و توجهه إليه،

2-و كـــــــــون سعي العبد نافعا، و جدًّا، لا هزلا

3-و إخـــــــلاصا لوجه الله، لا رياء و سمعة،

هذا هو الدين الحقيقي، الذي يقال له دين،

فأما من زعم أنه على الحق، و أنه صاحب دين و تقوى،

و قد اتخذ دينَه لعبــــا و لهـــــوا بـــــــــأن:-

1-لَهَــــــــا قلبُه عن محبة الله و معرفته،

2-و أقبـــــــــــل على كل ما يضره،

3-و لَهَـــــــــا في باطله،

4-و لعــــــــــب فيه ببدنه،

لأن العمل و السعي إذا كان لغير الله، فهو لعب،

فهذا أَمَر الله تعالى أن يترك و يحذر، و لا يغتر به، و تنظر حاله،

و يحذر من أفعاله، و لا يغتر بتعويقه عما يقرب إلى الله.

(وَذَكِّرْ بِهِۦٓ)

أي: ذكـــــــر بالقرآن:–

1–ما ينفــــــــع العباد، أمرا، و تفصيلا و تحسينا له،

بذكر ما فيه من أوصاف الحسن،

2–و ما يضــــــــر العباد نهيا عنه،

و تفصيلا لأنواعه، و بيان ما فيه، من الأوصاف القبيحة الشنيعة، الداعية لتركه،

(أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ)

و كل هذا لئلا تبسل نفس بما كسبت، أي:–

قبل اقتحام العبد للذنوب

و تجرئه على علام الغيوب،

و استمرارها على ذلك المرهوب،

فذكرها، وعِظْهَا، لترتدع و تنزجر،

و تكف عن فعلها.

***تُسلم أو تفتضح أو تُحبس أو تُؤاخذ و حاصلها:-

الإسلام للهلكة و الحبس عن الخير و الارتهان عن دَرْك المطلوب

كقوله ﴿ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ٣٨ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ﴾ المدثر: ٣٨ - ٣٩

و قوله (لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ)

أي: قبل أن تحيط بها ذنوبها، ثم لا ينفعها أحد من الخلق،

لا قريب و لا صديق، و لا يتولاها من دون الله أحد، و لا يشفع لها شافع

***﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٌ لَّا بَيۡعٌ فِيهِ وَلَا

خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ البقرة: ٢٥٤

(وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٍ)

***و لو بذلت كل مبذول ما قُبِلَ منها كقوله

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبًا وَلَوِ

ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ آل عمران: ٩١

❍أي: تفتدي بكل فداء، و لو بملء الأرض ذهبا

(لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ)

أي: لا يقبل و لا يفيد.

(أُوْلَٰٓئِكَ) الموصوفون بما ذكر

(ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ)

أي: أهلكوا و أيسوا من الخير، و ذلك

(بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ)

أي: ماء حار قد انتهى حره، يشوي وجوههم، و يقطع أمعاءهم

(وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ)

قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ

كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ

قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنۡ أَقِيمُواْ

ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ

ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ

وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

*** قَالَ السُّدِّي: قَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ:-

اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا، وَ اتْرُكُوا دِينَ مُحَمَّدٍ،

فَأَنْزَلَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ:

{قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا} أَيْ:-

فِي الْكُفْرِ {بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ} قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ

ٱلۡعَٰلَمِينَ

فَيَكُونُ مثلُنا مَثَلَ الَّذِي {كَٱلَّذِى ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ}
يَقُولُ: مَثَلُكُمْ، إِنْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ الْإِيمَانِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ كَانَ مَعَ قَوْمٍ عَلَى الطَّرِيقِ، فَضَلَّ الطَّرِيقَ، فَحَيَّرَتْهُ الشَّيَاطِينُ، وَ اسْتَهْوَتْهُ فِي الْأَرْضِ،

(لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٌ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ)

وَ أَصْحَابُهُ عَلَى الطَّرِيقِ، فَجَعَلُوا يَدْعُونَهُ إِلَيْهِمْ يَقُولُونَ:-
"ائْتِنَا فَإِنَّا عَلَى الطَّرِيقِ"، فَأَبَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ.
فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ يَتَّبِعُهُمْ بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ
وَ مُحَمَّدٌ هُوَ الَّذِي يَدْعُو إِلَى الطَّرِيقِ،
وَ الطَّرِيقُ هُوَ الْإِسْلَامُ. رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

(قُلۡ)

يا أيها الرسول للمشركين بالله، الداعين معه غيره، الذين يدعونكم إلى دينهم،

مبينا و شارحا لوصف آلهتهم،

التي يكتفي العاقل بذكر وصفها، عن النهي عنها،

فإن كل عاقل إذا تصور مذهب المشركين جَزَمَ ببطلانه،

قبل أن تقام البراهين على ذلك،

فقال: (أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا)

و هذا وصف، يدخل فيه كل مَن عُبِد مِنْ دون الله،

فإنه لا ينفع و لا يضر، و ليس له من الأمر شيء، إن الأمر إلا لله.

(وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ)

أي: و ننقلب بعد هداية الله لنا إلى الضلال،

و من الرشد إلى الغي،

و من الصراط الموصل إلى جنات النعيم،

إلى الطرق التي تفضي بسالكها إلى العذاب الأليم.

فهذه حال لا يرتضيها ذو رشد، و صاحبها

(كَٱلَّذِى ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلۡأَرۡضِ)

أي: أضلته و تيهته عن طريقه و منهجه له الموصل إلى مقصده.

***اسْتَهْوَتْهُ مُثْلُ قَوْلِهِ:- {تَهْوِي إِلَيْهِمْ} [إِبْرَاهِيمَ: 37] .

فبقي (حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٌ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى)

و الشياطين يدعونه إلى الردى،

فبقي بين الداعين حائرا

و هذه حال الناس كلهم، إلا من عصمه الله تعالى،

فإنهم يجدون فيهم جواذب و دواعي متعارضة:-

1-دواعي الرسالة و العقل الصحيح، و الفطرة المستقيمة

(يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى) و الصعود إلى أعلى عليين.

2-و دواعي الشيطان، و من سلك مسلكه، و النفس الأمارة بالسوء،

يدعونه إلى الضلال، و النزول إلى أسفل سافلين،

فمن الناس من يكون مع داعي الهدى، في أموره كلها أو أغلبها،

و منهم من بالعكس من ذلك.

و منهم من يتساوى لديه الداعيان، و يتعارض عنده الجاذبان،

و في هذا الموضع، تعرف أهل السعادة من أهل الشقاوة.

وقوله: (قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ)

أي: ليس الهدى إلا الطريق التي شرعها الله على لسان رسوله،

و ما عداه، فهو ضلال و ردى و هلاك.

***كقوله ﴿ وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٖ ذِي ٱنتِقَامٖ ﴾

الزمر: ٣٧

(وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)

بأن ننقاد لتوحيده، و نستسلم لأوامره و نواهيه،

و ندخل تحت عبوديته،

فإن هذا أفضل نعمة أنعم الله بها على العباد،

و أكمل تربية أوصلها إليهم.

(وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ)

أي: وأمرنا أن نقيم الصلاة بأركانها و شروطها و سننها و مكملاتها.

(وَٱتَّقُوهُۚ)

بفعل ما أمر به، و اجتناب ما عنه نهى.

(وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ)

أي: تُجْمَعون ليوم القيامة، فيجازيكم بأعمالكم، خيرها و شرها.

(وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ)

*الجزائري:-

فلم يخلقهما عبثاً وباطلاً بل خلقهما ليذكر فيهما و يشكر،

ليأمر العباد و ينهاهم، و يثيبهم و يعاقبهم،

(وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ)

الذي لا مرية فيه و لا مثنوية، و لا يقول شيئا عبثا

(وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ)

***كقوله﴿ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴾ غافر: ١٦

(يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ)

أي: يوم القيامة، خصه بالذكر –مع أنه مالك كل شيء–

لأنه تنقطع فيه الأملاك، فلا يبقى ملك إلا الله الواحد القهار.

*** سنن الترمذي ت شاكر

3243 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«كَيْفَ أَنْعَمُ وَ قَدِ التَقَمَ صَاحِبُ القَرْنِ القَرْنَ وَ حَنَى جَبْهَتَهُ
وَ أَصْغَى سَمْعَهُ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ أَنْ يَنْفُخَ فَيَنْفُخَ»
قَالَ المُسْلِمُونَ: فَ كَيْفَ نَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: «قُولُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الوَكِيلُ تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ رَبِّنَا

(عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ)

الذي له الحكمة التامة،

و النعمة السابغة،

و الإحسان العظيم،

و العلم المحيط بالسرائر و البواطن و الخفايا،

لا إله إلا هو،

و لا رب سواه.

۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى
ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ
ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ
أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ
يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ
هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى
وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا
تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا
تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ
أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ)

يقول تعالى: و اذكر قصة إبراهيم، عليه الصلاة و السلام، مثنيا عليه و معظما في حال دعوته إلى التوحيد، و نهيه عن الشرك،

إذ قال (لِأَبِيهِ)

(ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً)

أي: لا تنفع و لا تضر و ليس لها من الأمر شيء،

(إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ)

حيث عبدتم من لا يستحق من العبادة شيئا،

و تركتم عبادة خالقكم، و رازقكم، و مدبركم.

*** صحيح البخاري

3350 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:
يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ القِيَامَةِ،
وَ عَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَ غَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ:-
أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لاَتَعْصِنِي، فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَاليَوْمَ لاَ أَعْصِيكَ،
فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لاَ تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ،
فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الأَبْعَدِ؟
فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: " إِنِّي حَرَّمْتُ الجَنَّةَ عَلَى الكَافِرِينَ،
ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟
فَيَنْظُرُ، فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ "( )

(قترة) سواد الدخان و (غبرة) غبار ولا يرى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه ولعل المراد هنا ما يغشى الوجه من شدة الكرب وما يعلوه من ظلمة الكفر.
(بذيخ) الذيخ ذكر الضبع الكثير الشعر أري أباه على غير هيئته ومنظره ليسرع إلى التبرء منه.
(متلطخ) متلوث بالدم ونحوه]

(وَكَذَٰلِكَ) حين وفقناه للتوحيد و الدعوة إليه

(نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ)

أي: ليرى ببصيرته، ما اشتملت عليه من الأدلة القاطعة، و البراهين الساطعة

***﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ الأنعام: ٥٥

(وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ)

فإنه بحسب قيام الأدلة، يحصل له الإيقان و العلم التام بجميع المطالب.

(فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ)

أي: أظلم

(رَءَا كَوۡكَبٗاۖ)

لعله من الكواكب المضيئة، لأن تخصيصه بالذكر، يدل على زيادته عن غيره، و لهذا – و الله أعلم– قال من قال: إنه الزُهْرة.

(قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ)

أي: على وجه التنزل مع الخصم أي: –

هذا ربي، فهلم ننظر، هل يستحق الربوبية؟

و هل يقوم لنا دليل على ذلك؟

فإنه لا ينبغي لعاقل أن يتخذ إلهه هواه، بغير حجة و لا برهان.

(فَلَمَّآ أَفَلَ)

أي: غاب ذلك الكوكب

(قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ)

أي: الذي يغيب و يختفي عمن عبده،

فإن المعبود لا بد أن يكون قائما بمصالح من عبده،

و مدبرا له في جميع شئونه،

فأما الذي يمضي وقت كثير و هو غائب، فمن أين يستحق العبادة؟!

و هل اتخاذه إلها إلا من أسفه السفه، و أبطل الباطل؟!

(فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا)

أي: طالعا، رأى زيادته على نور الكواكب و مخالفته لها

(قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ)

تنزلا.

(فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ)

فافتقر غاية الافتقار إلى هداية ربه،

و علم أنه إن لم يهده الله فلا هادي له،

و إن لم يعنه على طاعته، فلا معين له.

(فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ)

من الكوكب و من القمر.

(فَلَمَّآ أَفَلَتْ)

تقرر حينئذ الهدى، و اضمحل الردى

فـــــ (قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ)

حيث قام البرهان الصادق الواضح، على بطلانه.

(إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا)

أي: لله وحده، مقبلا عليه، معرضا عن من سواه.

(وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ)

فتبرأ من الشرك، و أذعن بالتوحيد، و أقام على ذلك البرهان

و هذا الذي ذكرنا في تفسير هذه الآيات، هو الصواب،

و هو أن المقام مقام مناظرة، من إبراهيم لقومه،

و بيان بطلان إلهية هذه الأجرام العلوية و غيرها.

و أما من قال: إنه مقام نظر في حال طفوليته، فليس عليه دليل .

***وَ كَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ نَاظِرًا فِي هَذَا الْمَقَامِ،

وَ هُوَ الَّذِي قَالَ اللَّهُ فِي حَقِّهِ: {وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ} الْآيَاتِ [الْأَنْبِيَاءِ: 51، 52]

***صحيح البخاري

4775 - عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ»
ثُمَّ يَقُولُ: {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ} [الروم: 30]

***صحيح مسلم

عن عياض بن حمار أن رسول الله ﷺ قال: قال الله
وَ إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ،
وَ إِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ،

***كقوله﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ﴾الروم: ٣٠

***فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي حَقِّ سَائِرِ الْخَلِيقَةِ، فَكَيْفَ يَكُونُ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ -الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ {أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [النَّحْلِ: 120] نَاظِرًا فِي هَذَا الْمَقَامِ؟!
بَلْ هُوَ أَوْلَى النَّاسِ بِالْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ، وَ السَّجِيَّةِ الْمُسْتَقِيمَةِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِلَا شَكٍّ وَ لَا رَيْبٍ.

وَ مِمَّا يُؤَيِّدُ أَنَّهُ كَانَ فِي هَذَا الْمَقَامِ مُنَاظِرًا لِقَوْمِهِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الشِّرْكِ لَا نَاظِرًا قَوْلُهُ تَعَالَى:-

(وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۚ)

أيُّ فائدة لمحاجة من لم يتبين له الهدى؟

فأما من هداه الله، و وصل إلى أعلى درجات اليقين،

فإنه –هو بنفسه– يدعو الناس إلى ما هو عليه.

(وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ)

فإنها لن تضرني، و لن تمنع عني من النفع شيئا.

(إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔاۗ)

***استثناء منقطع أي لا يضر و لا ينفع إلا الله

(وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ)

فتعلمون أنه وحده المعبود المستحق للعبودية.

*** فِيمَا بَيَّنْتُهُ لَكُمْ فَتَعْتَبِرُونَ أَنَّ هَذِهِ الْآلِهَةَ بَاطِلَةٌ، فَتُزْجَرُوا عَنْ عِبَادَتِهَا؟ وَهَذِهِ الْحُجَّةُ نَظِيرُ مَا احْتَجَّ بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ هُودٌ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَلَى قَوْمِهِ عَادٍ، فِيمَا قَصَّ عَنْهُمْ فِي كتابه:-

حَيْثُ يَقُولُ: {قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِنْ نَقُولُ إِلا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا

[إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [هُودٍ: 53 -56] .

(وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ)

و حالها حال العجز، و عدم النفع،

(وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا)

أي: إلا بمجرد اتباع الهوى.

(سُلْطَٰنًا)

***حجة

(فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ).

*** فَأَيُّ الطَّائِفَتَيْنِ أَصْوَبُ؟
الَّذِي عَبَد مَنْ بِيَدِهِ الضُّرَّ وَ النَّفْعَ،
أَو الَّذِي عَبَدَ مَنْ لَا يَضُرُّ وَ لَا يَنْفَعُ بِلَا دَلِيلٍ،
أَيُّهُمَا أَحَقُّ بِالْأَمْنِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾
وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ
حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا
مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ
وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٨٥﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنۡ
ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ
هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ
وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ
قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾

قال الله تعالى فاصلا بين الفريقين:-

(ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ)

1-الأمـــــن من المخاوفِ و العذاب و الشقاء،

2-و الهــــــدايةُ إلى الصراط المستقيم،

❍فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقا، [لا بشرك، و لا بمعاص]

🡸حصل لهم الأمن التام، و الهداية التامة.

❍و إن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده، و لكنهم يعملون السيئات،

🡸حصل لهم أصل الهداية، و أصل الأمن،

[و إن لم يحصل لهم كمـــــالها.]

☼و مفهـــــوم الآية الكــــــريمة:-

أن الذين لم يحصل لهم الأمران،

لم يحصل لهم هداية، و لا أمن، بـــــل حظهــــــــــــم :-

[الضـــــلال و الشقـــــاء.]

*****صحيح البخاري**

4629 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:

" لَمَّا نَزَلَتْ: {وَلَمْ يَلْبِسُوا} [الأنعام: 82] إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ قَالَ أَصْحَابُهُ:-

وَ أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ؟ فَنَزَلَتْ: {إِنَّ الشِّرْكَ} [لقمان: 13] لَظُلْمٌ عَظِيمٌ "

*****مسند أحمد مخرجا**

3589 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ:

{الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُواإِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} [الأنعام: 82]

شَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ،

وَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟

قَالَ: " إِنَّهُ لَيْسَ الَّذِي تَعْنُونَ، أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ:-

{يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: 13]

إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ "

و لما حكم لإبراهيم عليه السلام، بما بين به من البراهين القاطعة قال:-

(وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ)

أي: عــــلا بها عليهم، و فـــــلجهم بها.

***المراد بذلك قوله﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ الأنعام: ٨١

(نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ)

كما رفعنا درجات إبراهيم عليه السلام في الدنيا و الآخرة،

فإن العلم يرفع الله به صاحبه فوق العباد درجات.

[خصوصـــــا العـــــالم العـــــامل المعلـــــم]،

فإنه يجعله الله إماما للناس، بحسب حاله:-

1-تُـــــرْمق أفعاله،

2-و تُقْتفــــــى آثاره،

3-و يُسْتضــــــاء بنوره،

4-و يُمْشـــــى بعلمه في ظلمة ديجوره.

قال تعالى (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)

(إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ)

فلا يضع العلم و الحكمة، إلا في المحل اللائق بها،

و هو أعلم بذلك المحل، و بما ينبغي له.

***كقوله﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ

كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴾ يونس: ٩٦ - ٩٧

وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن

ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي

ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾

وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنۡ

ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ

هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ

يَعۡمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ

وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ

قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾

***يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ وَهَبَ لِإِبْرَاهِيمَ إِسْحَاقَ، بَعْدَ أَنْ طَعَن فِي السِّنِّ،

وَ أَيِسَ هُوَ وَ امْرَأَتُهُ "سَارَةُ" مِنَ الْوَلَدِ،

فَجَاءَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَ هُمْ ذَاهِبُونَ إِلَى قَوْمِ لُوطٍ،فَبَشَّرُوهُمَا بِإِسْحَاقَ،

فَتَعَجَّبَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ ذَلِكَ، وَ قَالَتْ: {قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ} [هُودٍ: 72، 73]

وَ بَشَّرُوهُ مَعَ وُجُودِهِ بِنُبُوَّتِهِ، وَ بِأَنَّ لَهُ نَسْلًا وعَقِبا،

كَمَا قَالَ: {وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ} [الصَّافَّاتِ: 112]

وَ هَذَا أَكْمَلُ فِي الْبِشَارَةِ، وَأَعْظَمُ فِي النِّعْمَةِ،

وَ قَالَ: {فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ} [هُودٍ: 71]

أَيْ: وَ يُولَدُ لِهَذَا الْمَوْلُودِ وَلَدٌ فِي حَيَاتِكُمَا،

فَتَقَرُّ أَعْيُنُكُمَا بِهِ كَمَا قَرَّتْ بِوَالِدِهِ،

فَإِنَّ الْفَرَحَ بِوَلَدِ الْوَلَدِ شَدِيدٌ لِبَقَاءِ النَّسْلِ وَ الْعَقِبِ،

وَ لَمَّا كَانَ وَلَدُ الشَّيْخِ وَ الشَّيْخَةِ قَدْ يُتَوَهَّمُ أَنَّهُ لَا يَعْقب لِضَعْفِهِ،

وَقَعَتِ الْبِشَارَةُ بِهِ وَ بِوَلَدِهِ بَاسِم "يَعْقُوبَ"،

[الَّذِي فِيهِ اشْتِقَاقُ الْعَقِبِ وَ الذُّرِّيَّةِ،]

وَ كَانَ هَذَا مُجَازَاةً لِإِبْرَاهِيمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، حِينَ اعْتَزَلَ قَوْمَهُ وَ تَرَكَهُمْ،

وَ نَزَحَ عَنْهُمْ وَ هَاجَرَ مِنْ بِلَادِهِمْ ذَاهِبًا إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ،

فَعَوَّضَهُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، عَنْ قَوْمِهِ وَ عَشِيرَتِهِ بِأَوْلَادٍ صَالِحِينَ مِنْ صُلْبِهِ عَلَى دِينِهِ، لِتَقَرَّ بِهِمْ عَيْنُهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى

{فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلا جَعَلْنَا نَبِيًّا} [مَرْيَمَ: 49] ،

وَ قَالَ هَاهُنَا: {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلا هَدَيْنَا}

❍لما ذكر الله تعالى عبده و خليله، إبراهيم عليه السلام،

و ذكر ما مَنَّ الله عليه به، من العلم و الدعوة، و الصبر،

ذكر ما أكرمه الله به من الذرية الصالحة، و النسل الطيب.

و أن الله جعل صفوة الخلق من نسله،

و أعظم بهذه المنقبة و الكرامة الجسيمة، التي لا يدرك لها نظير فقال:

(وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ)

ابنه،الذي هو إسرائيل، أبو الشعب الذي فضله الله على العالمين.

(كُلًّا) منهما

(هَدَيۡنَاۚ) الصراط المستقيم، في علمه و عمله.

(وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ)

و هدايته من أنواع الهدايات الخاصة التي لم تحصل إلا لأفراد من العالم؛

و هم أولو العزم من الرسل، الذي هو أحدهم.

***الميسر : و كذلك وفّقنا للحق نوحًا -من قبل إبراهيم و إسحاق ويعقوب**

(وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ)

1-يحتمل أن الضمير عائد إلى نوح، لأنه أقرب مذكور،

و لأن الله ذكر مع من ذكر لوطا،

و هو من ذرية نوح، لا من ذرية إبراهيم لأنه ابن أخيه.

2-و يحتمل أن الضمير يعود إلى إبراهيم لأن السياق في مدحه و الثناء عليه،

و لوط – و إن لم يكن من ذريته- فإنه ممن آمن على يده،

فكان منقبة الخليل و فضيلته بذلك، أبلغ من كونه مجرد ابن له.

(دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ) بن داود

(وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ) بن يعقوب.

(وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ) ابني عمران،

(وَكَذَٰلِكَ)

كما أصلحنا ذرية إبراهيم الخليل، لأنه أحسن في عبادة ربه،

و أحسن في نفع الخلق

(نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ)

بأن نجعل لهم من الثناء الصدق، و الذرية الصالحة، بحسب إحسانهم.

(وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ) ابنه

(وَعِيسَىٰ) ابن مريم.

(وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ) هؤلاء

(مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ)

في أخلاقهم و أعمالهم و علومهم،

بل هم سادة الصالحين و قادتهم و أئمتهم.

(وَإِسۡمَٰعِيلَ)

بن إبراهيم أبو الشعب الذي هو أفضل الشعوب،

و هو الشعب العربي، و والد سيد ولد آدم، محمد ﷺ

(وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ) بن متى

(وَلُوطٗاۚ) بن هاران، أخي إبراهيم.

(وَكُلّٗا) من هؤلاء الأنبياء والمرسلين

(فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ)

لأن درجات الفضائل أربع – و هي التي ذكرها الله بقوله:

(وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ)

فهؤلاء من الدرجة العليا، بل هم أفضل الرسل على الإطلاق،

فالرسل الذين قصهم الله في كتابه، أفضل ممن لم يقص علينا نبأهم بلا شك.

(وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ)

أي: آباء هؤلاء المذكورين

(وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ)

أي: و هدينا من آباء هؤلاء و ذرياتهم و إخوانهم.

(وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ)

أي: اخترناهم

(وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ) .

(ذَٰلِكَ) الهدى المذكور

(هُدَى ٱللَّهِ) الذي لا هدى إلا هداه.

(يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ)

فاطلبوا منه الهدى فإنه إن لم يهدكم فلا هادي لكم غيره،

و ممن شاء هدايته هؤلاء المذكورون.

(وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ)

على الفرض و التقدير

(لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ)

فإن الشرك محبط للعمل، موجب للخلود في النار.

فإذا كان هؤلاء الصفوة الأخيار، لو أشركوا – و حاشاهم– لحبطت أعمالهم فغيرهم أولى.

***كقوله ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾الزمر: ٦٥

***و هذا شرط و الشرط لا يقتضي جواز الوقوع كقوله

﴿ قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ ﴾ الزخرف: ٨١

(أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا)

***بالنبوة و يحتمل أن يكون الضمير عائد الي هذه الاشياء الثلاثة:-
الكتاب و الحكم و النبوة

(هَٰٓؤُلَآءِ)

***أهل مكة

(فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا)

*** إِنْ يَكْفُرْ بِهَذِهِ النِّعَمِ مَنْ كَفَرَ بِهَا مِنْ قُرَيْشٍ وَ غَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ أَهْلِ الْأَرْضِ، مَنْ عَرَبٍ وَ عَجَمٍ، وَ مِلِّيِينَ وَ كِتَابِيِّينَ،
فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا {آخَرِينَ} يَعْنِي:-
الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارَ وَ أَتْبَاعَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ،

{لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ }

أَيْ: لَا يَجْحَدُونَ شَيْئًا مِنْهَا، وَ لَا يَرُدُّونَ مِنْهَا حَرْفًا وَاحِدًا،
بَلْ يُؤْمِنُونَ بِجَمِيعِهَا مُحْكَمِهَا وَ مُتَشَابِهِهَا،
جَعَلَنَا اللَّهُ مِنْهُمْ بِمَنِّهِ وَ كَرَمِهِ وَ إِحْسَانِهِ.

(أُوْلَٰٓئِكَ) المذكورون

(ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ)

أي: امش – أيها الرسول الكريم– خلف هؤلاء الأنبياء الأخيار،

و اتبع ملتهم و قد امتثل ﷺ، فاهتدى بهدي الرسول قبله،

و جمع كل كمال فيهم. فاجتمعت لديه فضائل و خصائص،

فاق بها جميع العالمين، و كان سيد المرسلين، و إمام المتقين،

صلوات الله و سلامه عليه و عليهم أجمعين،

و بهذا الملحظ، استدل بهذه من استدل من الصحابة، أن رسول الله ﷺأفضل الرسل كلهم.

*** صحيح البخاري

4632 - عن ابْنَ عَبَّاسٍ: أَفِي ص سَجْدَةٌ؟

فَقَالَ: «نَعَمْ»، ثُمَّ تَلاَ: {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ} [الأنعام: 84]

إِلَى قَوْلِهِ {فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} [الأنعام: 90]

ثُمَّ قَالَ: «هُوَ مِنْهُمْ»

عَنْ مُجَاهِدٍ، قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ،

فَقَالَ: «نَبِيُّكُمْ ﷺ مِمَّنْ أُمِرَ أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِمْ»( )

(قُـل)

للذين أعرضوا عن دعوتك:-

(لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡـهِ أَجۡـرًاۖ)

(هو منهم) أي داود عليه السلام هو من الأنبياء المذكورين الذين أمر ﷺبالاقتداء بهم فيقتدى به بالسجود في سجدة (ص) لأنه سجدها.
(قلت لابن عباس) أي سألته عن سجدة (ص)

أي: لا أطلب منكم مغرما و مالا جزاء عن إبلاغي إياكم، و دعوتي لكم فيكون من أسباب امتناعكم، إن أجري إلا على الله.

(إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ)

يتـــــذكرون بـــــه:-

1-ما ينفعهم، فيفعلونه، و ما يضرهم،فيذرونه،

2-و يتذكرون به معرفة ربهم بأسمائه و أوصافه.

3-و يتذكرون به الأخلاق الحميدة، و الطرق الموصلة إليها، و الأخلاق الرذيلة، و الطرق المفضية إليها،

فإذا كان ذكرى للعالمين، كان أعظم نعمة أنعم الله بها عليهم، فعليهم قبولها و الشكر عليها.

وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ
ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ
وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ٩١
وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ
وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩٢ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ
ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ
أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ
ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ٩٣ وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ
مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ
أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٩٤

وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ
ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ
وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ٩١

(وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ)

*** وَ مَا عَظَّمُوا اللَّهَ حَقَّ تَعْظِيمِهِ، إِذْ كَذَّبُوا رُسُلَهُ إِلَيْهِمْ،

قُرَيْشٌ –وَ الْعَرَبُ قَاطِبَةً -كَانُوا يُبْعِدُونَ إِرْسَالَ رَسُولٍ مِنَ الْبَشَرِ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى {أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ} [يُونُسَ: 2]

وَ قَالَ تَعَالَى: {وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولا * قُلْ لَوْ كَانَ فِي الأرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنزلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولا} [الْإِسْرَاءِ: 94، 95]

○هذا تشنيع على من نفى الرسالة، من اليهود و المشركين

و زعم أن الله ما أنزل على بشر من شيء،

فمن قال هذا، فما قدر الله حق قدره، و لا عَظَّمه حق عظمته،

إذ هذا قدح في حكمته،

و زعم أنه يترك عباده هملا لا يأمرهم و لا ينهاهم، و نَفْيٌ لأعظم منة،

امتن الله بها على عباده، و هي الرسالة، التي لا طريق للعباد إلى نيل السعادة،

و الكرامة، و الفلاح، إلا بها، فأي قدح في الله أعظم من هذا؟

(قُلۡ)

لهم – ملزما بفساد قولهم، و قرِّرْهم، بما به يقرون– :

(مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ)

و هو التوراة العظيمة

(نُورًا)

في ظلمات الجهل من الضلالة،

(وَهُدًى لِّلنَّاسِ)

و هاديا إلى الصراط المستقيم علما و عملا

و هو الكتاب الذي شاع و ذاع،

و ملأ ذكره القلوب و الأسماع.

(تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ)

***قِطَعًا يَكْتُبُونَهَا مِنَ الْكِتَابِ الْأَصْلِيِّ الَّذِي بِأَيْدِيهِمْ وَ يُحَرِّفُونَ فِيهَا مَا يُحَرِّفُونَ وَ يُبَدِّلُونَ وَ يَتَأَوَّلُونَ

○حتى أنهم جعلوا يتناسخونه في القراطيس،و يتصرفون فيه بما شاءوا،

(تُبْدُونَهَا)

فما وافق أهواءهم منه، أبدوه و أظهروه،

(وَتُخْفُونَ كَثِيرًا)

و ما خالف ذلك، أخفوه و كتموه، و ذلك كثير.

(وَعُلِّمْتُم)

من العلوم التي بسبب ذلك الكتاب الجليل

(مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ)

فإذا سألتهم عمن أنزل هذا الكتاب الموصوف بتلك الصفات،

فأجب عن هذا السؤال.

و (قُلِ ٱللَّهُ)

الذي أنزله، فحينئذ يتضح الحق و ينجلي مثل الشمس،

و تقوم عليهم الحجة، ثم إذا ألزمتهم بهذا الإلزام

(ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ)

أي: اتركهم يخوضوا في الباطل، و يلعبوا بما لا فائدة فيه،

حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون.

وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ
وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾

أي: (وَهَٰذَا كِتَٰبٌ)

القرآن الذي

(أَنزَلۡنَٰهُ) إليك

(مُبَارَكٞ)

أي: وَصْفُه البركة، و ذلك لكثرة خيراته، و سعة مبراته.

(مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ)

أي: موافق للكتب السابقة، و شاهد لها بالصدق.

(وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ)

أي: و أنزلناه أيضا لتنذر أم القرى، و هي:- مكة المكرمة،

(وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ)

من ديار العرب، بل، و من سائر البلدان.

فتحذر الناس عقوبة الله، و أخذه الأمم، و تحذرهم مما يوجب ذلك.

***كقوله﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾

الأعراف: ١٥٨

*** صحيح البخاري

335 عن جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:

أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي:-

1- نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ،

2-وَ جُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَ طَهُورًا،

فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ،

3-وَ أُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَ لَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي،

4-وَ أُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ،

5-وَ كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَ بُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً "( )

(نصرت بالرعب) هو الخوف يقذف في قلوب أعدائي. (مسيرة شهر) أي بيني وبينه مسيرة شهر. (المغانم) جمع مغنم وهو الغنيمة وهو كل ما يحصل عليه المسلمون من الكفار قهرا]

(وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ)

لأن الخوف إذا كان في القلب عمرت أركانه، و انقاد لمراضي الله.

(وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ)

أي: يداومون عليها، و يحفظون :-

[أركـــانها و حـــدودها و شـــروطها و آدابـــها،و مكمـــلاتها.]

جعلنا الله منهم.

وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ وَمَن قَالَ
سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ
تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ
كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ
ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ
وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٩٤﴾

(وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا)

يقول تعالى:

لا أحد أعظم ظلما،و لا أكبر جرما، ممن كذب على الله.بأن :-

1-نسب إلى الله قولا أو حكما و هو تعالى بريء منه،

و إنما كان هذا أظلم الخلق، لأن فيه من الكذب،

و تغيير الأديان أصولها، و فروعها،

و نسبة ذلك إلى الله – ما هو من أكبر المفاسد.

(أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ)

2-و يدخل في ذلك، ادعاء النبوة، و أن الله يوحي إليه، و هو كاذب في ذلك،

فإنه – مع كذبه على الله،و جرأته على عظمته و سلطانه-

يوجب على الخلق أن :-

1-يتبعـــــوه،

2-و يجـــــاهدهم على ذلك،

3-و يستحل دماء من خالفه و أموالهم.

و يدخل في هذه الآية، كل من ادعى النبوة، كــــــ:-

مسيلمة الكذاب و الأسود العنسي و المختار،

و غيرهم ممن اتصف بهذا الوصف.

(وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ)

أي: و من أظلم ممن زعم. أنه يقدر على ما يقدر الله عليه

و يجاري الله في أحكامه،

و يشرع من الشرائع، كما شرعه الله.

☼و يدخل في هذا، كل من يزعم أنه يقدر على معارضة القرآن،

و أنه في إمكانه أن يأتي بمثله.

و أي: ظلم أعظم من دعوى الفقير العاجز بالذات، الناقص من كل وجه،

مشاركةَ القوي الغني، الذي له الكمال المطلق، من جميع الوجوه،

في ذاته و أسمائه و صفاته؟

و لما ذم الظالمين، ذكر ما أعد لهم من العقوبة في حال الاحتضار،

و يوم القيامة فقال:

(وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ)

أي: شدائده و أهواله الفظيعة، و كُرَبه الشنيعة –

لرأيت أمرا هائلا و حالة لا يقدر الواصف أن يصفها.

(وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ)

إلى أولئك الظالمين المحتضرين بالضرب و العذاب،

يقولون لهم عند منازعة أرواحهم و قلقها، و تعصيها للخروج من الأبدان:

(أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ)

أي: العذاب الشديد، الذي يهينكم و يذلكم و الجزاء من جنس العمل،

فإن هذا العذاب

(بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ)

من كذبكم عليه، و ردكم للحق، الذي جاءت به الرسل.

(وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ)

أي: تَرَفَّعون عن الانقياد لها، و الاستسلام لأحكامها.

❍و في هذا دليل على عذاب البرزخ و نعيمه،

فإن هذا الخطاب، و العذاب الموجه إليهم،

إنما هو عند الاحتضار و قبيل الموت و بعده.

❍و فيه دليل، على أن الروح جسم، يدخل و يخرج، و يخاطب،

و يساكن الجسد، و يفارقه، فهذه حالهم في البرزخ.

❍و أما يوم القيامة، فإنهم إذا وردوها، وردوها مفلسين

فرادى بلا أهل و لا مال، و لا أولاد و لا جنود، و لا أنصار،

كما خلقهم الله أول مرة، عارين من كل شيء.

فإن الأشياء، إنما تتمول و تحصل بعد ذلك، بأسبابها، التي هي أسبابها،

و في ذلك اليوم تنقطع جميع الأمور، التي كانت مع العبد في الدنيا،

سوى العمل الصالح و العمل السيء، الذي هو مادة الدار الآخرة،

الذي تنشأ عنه، و يكون حسنها و قبحها، و سرورها و غمومها،

و عذابها و نعيمها، بحسب الأعمال.

فهي التي تنفع أو تضر، و تسوء أو تسر، و ما سواها من الأهل و الولد،

و المال و الأنصار، فعواري خارجية، و أوصاف زائلة، و أحوال حائلة،

و لهذا قال تعالى:

(وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ)

أي: أعطيناكم، و أنعمنا به عليكم

(وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ)

لا يغنون عنكم شيئا

***صحيح مسلم

3 - (2958) عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَ هُوَ يَقْرَأُ:-

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ، قَالَ:

يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي،

قَالَ: وَ هَلْ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا

1-مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ،

2-أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ،

3-أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟ "،

(وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ) .

فإن المشركين يشركون بالله، و يعبدون معه الملائكة، و الأنبياء، و الصالحين،

و غيرهم، و هم كلهم لله،

و لكنهم يجعلون لهذه المخلوقات نصيبا من أنفسهم،

و شركة في عبادتهم،

و هذا زعم منهم و ظلم،

فإن الجميع عبيد لله، و الله مالكهم، و المستحق لعبادتهم.

فشركهم في العبادة، و صرفها لبعض العبيد،

تنزيل لهم منزلة الخالق المالك،

فيوبخون يوم القيامة و يقال لهم هذه المقالة.

(وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ)

أي: تقطعت الوصل و الأسباب بينكم و بين شركائكم، من الشفاعة و غيرها

فلم تنفع و لم تُجْد شيئا.

(وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ)

من الربح، و الأمن و السعادة، و النجاة، التي زينها لكم الشيطان،

و حسنها في قلوبكم، فنطقت بها ألسنتكم. و اغتررتم بهذا الزعم الباطل،

الذي لا حقيقة له، حين تبين لكم نقيض ما كنتم تزعمون،

و ظهر أنكم الخاسرون لأنفسكم و أهليكم و أموالكم.

توسط مكة للأرض.

الرابط

بحث: أ.د/ يحيى حسن وزيرى

اثبات توسط مكة لليابسة بالقياسات و صور الأقمار الصناعية:

استخدمت فى بحثى لاثبات توسط مكة المكرمة لليابسة على برنامجين يعتمدان على صور الأقمار الصناعية الحقيقية للكرة الأرضية، و هما:

أ- جوجل ايرث Google Earth: وهو برنامج معروف بامكانياته العالية لتحديد المسافات بين أى نقطتين على سطح الكرة الأرضية بدقة متناهية.

ب- Qibla locator: و هو برنامج مصمم خصيصا لتحديد اتجاه القبلة بدقة متناهية من أى نقطة على سطح الكرة الأرضية، كما يحدد المسافة بين أى نقطة على الكرة الأرضية و مكة المكرمة (القبلة) بدقة متناهية أيضا.

3-1 توسط مكة للعالم القديم (أفريقيا وأوروبا):

*** نقاط القياس: جنوب أفريقيا والساحل الغربى لأفريقيا وجزيرة أيسلندا.**

المسافة المتوسطة بين مكة وأبعد النقاط فى أفريقيا و أوروبا هى 6511 كم.

3-2 توسط مكة المكرمة لحدود العالم الجديد القريبة :

*** نقاط القياس: الحدود القريبة لاستراليا والقارة الجنوبية والأمريكتين ومضيق برنج واليابان.**

المسافة المتوسطة بين مكة وتلك النقاط هى 9320 كم.

3-3 توسط مكة المكرمة لحدود العالم الجديد البعيدة:

*** نقاط القياس: الحدود البعيدة لاستراليا والقارة الجنوبية والأمريكتين.**

المسافة المتوسطة بين مكة وتلك النقاط هى 13269 كم.

3-4 توسط مكة المكرمة للمراكز الجغرافية قارات العالم الجديد:

يقصد بالمركز الجغرافى لكل قارة بأنه النقطة التى تتوسط القارة من حيث المساحة.

المسافة المتوسطة بين مكة وتلك النقاط هى 11494 كم.

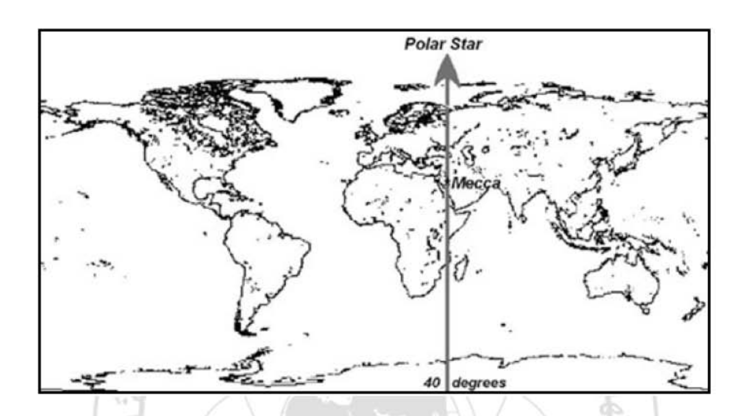
رابعا: شهادة عالم غربى:

طالب البروفيسور"أرنولد كيسرلنج" الأستاذ السابق بجامعة فيينا ، أن يكون خط طول مكة هو خط التوقيت العالمى بدلا من جرينتش، انظر الموقع الأليكترونى التالى: (www.chanceandchoice.com).)

• الخلاصة:

تعتبر مكة المكرمة بمثابة مركز لأربعة دوائر، كل واحدة منها تمر بحد معين من حدود اليابسة وكذلك المراكز الجغرافية لقارات العالم الجديد، وهو مايوضح الحكمة

الالهية من اختيارها لتكون قبلة ومكان حج الأمة الاسلامية، كما يوضح اعجاز القرآن الكريم فى وصفها باسم "أم القرى".



شكل (١٠): الخريطة التي رسمها البروفيسور «أرنولد كيسرلنج» وعليها الخط الذي يمر بموقع مكة مشيرا للنجم القطبي، دلالة على توسط مكة المكرمة لليابسة.

۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ
ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ
حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا
فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم
مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا
نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ
أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ
إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ
بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ
وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٠١﴾

۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ
ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ

حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا
فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم
مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ﴿٩٨﴾

يخبر تعالى عن كماله، و عظمة سلطانه، و قوة اقتداره، و سعة رحمته، و عموم كرمه، و شدة عنايته بخلقه،

فقال: (إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ) الاعجاز العلمي

شامل لسائر الحبوب، التي يباشر الناس زرعها، و التي لا يباشرونها، كالحبوب التي يبثها الله في البراري و القفار،

❍فيفلق الحبوب عن الزروع و النوابت، على اختلاف أنواعها، و أشكالها، و منافعها،

❍و يفلق النوى عن الأشجار، من النخيل و الفواكه، و غير ذلك. فينتفع الخلق، من الآدميين و الأنعام، و الدواب.

☼و يرتعون فيما فلق الله من الحب و النوى،

☼و يقتاتون، و ينتفعون بجميع أنواع المنافع التي جعلها الله في ذلك.

☼و يريهم الله من بره و إحسانه ما يبهر العقول، و يذهل الفحول،

☼و يريهم من بدائع صنعته، و كمال حكمته،

ما به يعرفونه و يوحدونه، و يعلمون أنه هو الحق، و أن عبادة ما سواه باطلة.

(يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ)

كما يخرج من المني حيوانا،

و من البيضة فرخا،

و من الحب و النوى زرعا و شجرا.

(وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ)

و هو الذي لا نمو فيه، أو لا روح

(مِنَ ٱلۡحَيِّۚ)

كما يخرج من الأشجار و الزروع النوى و الحب،

و يخرج من الطائر بيضا ونحو ذلك.

***يخرج الولد الصالح من الفاجر و العكس

(ذَٰلِكُمُ)

الذي فعل ما فعل، و انفرد بخلق هذه الأشياء و تدبيرها

(ٱللَّهُ)

رَبُّكُمْ أي: الذي له الألوهية و العبادة على خلقه أجمعين،

و هو الذي ربى جميع العالمين بنعمه، و غذاهم بكرمه.

(فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ)

أي: فأنى تصرفون، و تصدون عن عبادة من هذا شأنه، إلى عبادة من لا يملك لنفسه نفعا و لا ضرا، و لا موتا، و لا حياة، و لا نشورا؟

و لما ذكر تعالى مادة خلق الأقوات، ذكر منته بتهيئة المساكن،

و خلقه كل ما يحتاج إليه العباد، من الضياء و الظلمة،

و ما يترتب على ذلك من أنواع المنافع و المصالح

فقال: (فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ)

أي: كما أنه فالق الحب و النوى،

كذلك هو فالق ظلمة الليل الداجي،

الشامل لما على وجه الأرض، بضياء الصبح الذي يفلقه شيئا فشيئا،

حتى تذهب ظلمة الليل كلها، و يخلفها الضياء و النور العام، الذي يتصرف به الخلق في مصالحهم، و معايشهم، و منافع دينهم و دنياهم.

***الكون أصله في ظلمة و طبقة النهار في الارض لا تتعدي 200 كم و بعدها نري ظلام** :د .زغلول النجار

○و لما كان الخلق محتاجين إلى السكون و الاستقرار و الراحة، التي لا تتم بوجود النهار و النور

(وَجَعَلَ) الله

(ٱلَّيۡلَ سَكَنًا) يسكن فيه الآدميون إلى دورهم و منامهم، و الأنعام إلى مأواها، و الطيور إلى أوكارها، فتأخذ نصيبها من الراحة،

❍ثم يزيل الله ذلك بالضياء، و هكذا أبدا إلى يوم القيامة

*** كَمَا قَالَ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ: {وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ}

فَهُوَ سُبْحَانَهُ يَفْلِقُ ظَلَامَ اللَّيْلِ عَنْ غُرَّةِ الصَّبَاحِ، فَيُضِيءُ الْوُجُودَ، وَ يَسْتَنِيرُ الْأُفُقُ، وَ يَضْمَحِلُّ الظَّلَامُ، وَيَذْهَبُ اللَّيْلُ بِدَآدِئِهِ وَ ظَلَامِ رِوَاقِهِ، وَ يَجِيءُ النَّهَارُ بِضِيَائِهِ وَ إِشْرَاقِهِ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى {يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا} [الْأَعْرَافِ: 54]

فَبَيَّنَ تَعَالَى قُدْرَتَهُ عَلَى خَلْقِ الْأَشْيَاءِ الْمُتَضَادَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ الدَّالَّةِ عَلَى كَمَالِ عَظَمَتِهِ وَ عَظِيمِ سُلْطَانِهِ،

فَذَكَرَ أَنَّهُ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَ قَابَلَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: {وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا}

أَيْ: سَاجِيًا مُظْلِمًا تَسْكُنُ فِيهِ الْأَشْيَاءُ،

كَمَا قَالَ: {وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى} [الضُّحَى: 1، 2]

وَ قَالَ {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى} [اللَّيْلِ: 1، 2]

وَ قَالَ {وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا} [الشَّمْسِ: 3، 4] .

(و) جعل تعالى

(وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ)

***أَيْ: يَجْرِيَانِ بِحِسَابٍ مُقَنَّنٍ مُقَدَّرٍ، لَا يَتَغَيَّرُ وَلَا يَضْطَرِبُ، بَلْ كُلٌّ مِنْهُمَا لَهُ مَنَازِلُ يَسْلُكُهَا فِي الصَّيْفِ وَ الشِّتَاءِ، فَيَتَرَتَّبُ عَلَى ذَلِكَ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ طُولًا وَ قِصَرًا،

كَمَا قَالَ تَعَالَي

{هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ}الْآيَةَ [يُونُسَ: 5]

وَ كَمَا قَالَ: {لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [يس: 40]
وَ قَالَ {وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ} [الْأَعْرَافِ: 54] .

❍بهما تعرف الأزمنة و الأوقات، فتنضبط بذلك أوقات العبادات،

و آجال المعاملات،

و يعرف بها مدة ما مضى من الأوقات التي لولا وجود الشمس و القمر،

و تناوبهما و اختلافهما – لما عرف ذلك عامة الناس، و اشتركوا في علمه،

بل كان لا يعرفه إلا أفراد من الناس، بعد الاجتهاد،

و بذلك يفوت من المصالح الضرورية ما يفوت.

(ذَٰلِكَ) التقدير المذكور

(تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ)

الذي من عزته انقادت له هذه المخلوقات العظيمة،

فجرت مذللة مسخرة بأمره، بحيث لا تتعدى ما حده الله لها،

و لا تتقدم عنه و لا تتأخر

(ٱلۡعَلِيمِ)

الذي أحاط علمه، بالظواهر و البواطن، و الأوائل و الأواخر.

و من الأدلة العقلية على إحاطة علمه، تسخير هذه المخلوقات العظيمة،

على تقدير، و نظام بديع، تحيُّرُ العقول في حسنه و كماله،

و موافقته للمصالح و الحكم.

(وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ)

حين تشتبه عليكم المسالك، و يتحير في سيره السالك،

فجعل الله النجوم هداية للخلق إلى السبل، التي يحتاجون إلى سلوكها

لمصالحهم، و تجاراتهم، و أسفارهم.

1– نجوم لا تزال ترى، و لا تسير عن محلها،

2– ما هو مستمر السير، يعرف سيرَه أهل المعرفة بذلك،

و يعرفون به الجهات و الأوقات.

و دلت هذه الآية و نحوها، على:–

☼مشروعية تعلم سير الكواكب و محالّها

الذي يسمى علم التسيير، فإنه لا تتم الهداية و لا تمكن إلا بذلك.

***قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ:

مَنِ اعْتَقَدَ فِي هَذِهِ النُّجُومِ غَيْرَ ثَلَاثٍ فَقَدْ أَخْطَأَ وَ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ:-

1-أَنَّ اللَّهَ جَعَلَهَا زِينَةً لِلسَّمَاءِ

2-وَ رُجُـــومًا لِلشَّيَاطِينِ،

3-وَ يُهْتَــدَى بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ.

(قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ)

أي بيناها، و وضحناها، و ميزنا كل جنس و نوع منها عن الآخر،

بحيث صارت آيات الله بادية ظاهرة

(لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ)

أي: لأهل العلم و المعرفة،

فإنهم الذين يُوَّجه إليهم الخطاب،و يطلب منهم الجواب،

بخلاف أهل الجهـــــل و الجفـــــاء،

المعرضين عن آيات الله، و عن العلم الذي جاءت به الرسل،

فإن البيان لا يفيدهم شيئا، و التفصيل لا يزيل عنهم ملتبسا،

و الإيضاح لا يكشف لهم مشكلا.

(وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ)

وهو آدم عليه السلام. أنشأ الله منه هذا العنصر الآدمي؛

*** كَمَا قَالَ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيراً وَنِسَاءً} [النِّسَاءِ: 1] .

❍الذي قد ملأ الأرض و لم يزل في زيادة و نمو، الذي قد تفاوت في أخلاقه و خلقه، و أوصافه تفاوتا لا يمكن ضبطه، و لا يدرك وصفه،

(فَمُسۡتَقَرّٞ)

فِي الْأَرْحَامِ

و قيل: فَمُسْتَقَرٌّ فِي الدنيا،

{وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ}

*فِي الْأَصْلَابِ.

وقيل:وَ مُسْتَوْدَعٌ حَيْثُ يَمُوتُ.

○و جعل الله لهم مستقرا، أي منتهى ينتهون إليه، و غاية يساقون إليها،

و هي دار القرار، التي لا مستقر وراءها، و لا نهاية فوقها،

فهذه الدار، هي التي خلق الخلق لسكناها،

و أوجدوا في الدنيا ليسعوا في أسبابها، التي تنشأ عليها و تعمر بها،

و أودعهم الله في أصلاب آبائهم و أرحام أمهاتهم،

ثم في دار الدنيا،

ثم في البرزخ، كل ذلك، على وجه الوديعة، التي لا تستقر و لا تثبت،

بل ينتقل منها حتى يوصل إلى الدار التي هي المستقر،

و أما هذه الدار، فإنها مستودع و ممر

(قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ)

عن الله آياته، و يفهمون عنه حججه، و بيناته.

وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ
خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ
مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ
وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾

و(وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً)

*** كَمَا قَالَ {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ} [الْأَنْبِيَاءِ: 30]

❍و هذا من أعظم مننه العظيمة، التي يضطر إليها الخلق، من الآدميين و غيرهم،

و هو أنه أنزل من السماء ماء متتابعا وقت حاجة الناس إليه،

فأنبت الله به كل شيء، مما يأكل الناس و الأنعام،

فرتع الخلق بفضل الله، و انبسطوا برزقه، و فرحوا بإحسانه،

و زال عنهم الجدب و اليأس و القحط، ففرحت القلوب، و أسفرت الوجوه،

و حصل للعباد من رحمة الرحمن الرحيم، ما به يتمتعون و به يرتعون،

مما يوجب لهم، أن يبذلوا جهدهم في شكر من أسدى النعم،

و عبادته و الإنابة إليه، والمحبة له.

و لما ذكر عموم ما ينبت بالماء، من أنواع الأشجار و النبات،

ذكر الزرع و النخل، لكثرة نفعهما و كونهما قوتا لأكثر الناس

فقال: (فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ)

أي: من ذلك النبات الخضر،

(حَبًّا مُّتَرَاكِبًا)

بعضه فوق بعض، من بر، و شعير، و ذرة، و أرز، و غير ذلك، من أصناف الزروع،

و في وصفه بأنه متراكب:–

1–إشارة إلى أن حبوبه متعددة، و جميعها تستمد من مادة واحدة،

و هي لا تختلط،

بل هي متفرقة الحبوب، مجتمعة الأصول،

2–و إشارة أيضا إلى كثرتها، و شمول ريعها و غلتها، ليبقى أصل البذر،

و يبقى بقية كثيرة للأكل و الادخار.

(وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ)

أخرج الله

(مِن طَلۡعِهَا)

و هو الكفرى، و الوعاء قبل ظهور القنو منه، فيخرج من ذلك الوعاء

(قِنۡوَانٌ دَانِيَةٌ)

*** قِصَارَ النَّخْلِ اللَّاصِقَةِ عُذُوقُهَا بِالْأَرْضِ.

أي: قريبة سهلة التناول، متدلية على من أرادها، بحيث لا يعسر التناول من النخل و إن طالت، فإنه يوجد فيها كرب و مراقي، يسهل صعودها.

(و)

أخرج تعالى بالماء

(وَجَنَّٰتٍ مِّنۡ أَعۡنَابٍ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ)

فهذه من الأشجار الكثيرة النفع، العظيمة الوقع،

فلذلك خصصها الله بالذكر بعد أن عم جميع الأشجار و النوابت.

*** كَمَا امْتَنَّ تَعَالَى بِهِمَا عَلَى عِبَادِهِ، فِي قَوْلِهِ:
{وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا}[النَّحْلِ: 67]
وَ كَانَ ذَلِكَ قَبْلَ تَحْرِيمِ الْخَمْرِ.
وَقَالَ: {وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ} [يس: 34] .

و قوله (مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۚ)

O يحتمل أن يرجع إلى الرمان و الزيتون،

أي: [مشتبهــــا في شجـــره و ورقــــه،

غير متشـــابه في ثمــــره (((***شكــــلا و طعمــــا و طبعــــا)))

O و يحتمل أن يرجع ذلك، إلى سائر الأشجار و الفواكه،

[و أن بعضها مشتبه، يشبه بعضه بعضا، و يتقارب في بعض أوصافه،]

[و بعضها لا مشابهة بينه و بين غيره،]

و الكل ينتفع به العباد، و يتفكهون، و يقتاتون، و يعتبرون،

و لهذا أمر تعالى بالاعتبار به،

فقال: (ٱنظُرُوٓاْ)

نظر فكر و اعتبار

(إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ)

أي: الأشجار كلها، خصوصا: النخل

(إِذَآ أَثۡمَرَ)

(وَيَنۡعِهِۦٓۚ)

أي: انظروا إليه، وقت إطلاعه، و وقت نضجه و إيناعه،

فإن في ذلك عبرا و آيات، يستدل بها على رحمة الله، و سعة إحسانه

و جوده، و كمال اقتداره و عنايته بعباده.

و لكن ليس كل أحد يعتبر و يتفكر و ليس كل من تفكر،

أدرك المعنى المقصود،

و لهذا قيد تعالى الانتفاع بالآيات بالمؤمنين فقال:-

(إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ)

فإن المؤمنين يحملهم ما معهم من الإيمان، على العمل بمقتضياته

و لوازمه، التي منها:-

1-التفكـــــــر في آيات الله،

2-و الاستنتاج منها ما يراد منها،و ما تدل عليه، عقلا و فطرة، و شرعا.

وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ

وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ (١٠٠) بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن

لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ (١٠١)

(وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْۖ)

***كقول ابراهيم ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾

الصافات: ٩٥ - ٩٦

يخبر تعالى: أنه مع إحسانه لعباده و تعرفه إليهم، بآياته البينات، و حججه

الواضحات – أن المشركين به، من قريش و غيرهم،

جعلوا له شركاء، يدعونهم، و يعبدونهم، من الجن و الملائكة،

الذين هم خلق من خلق الله،

ليس فيهم من خصائص الربوبية و الألوهية شيء،

فجعلوها شركاء لمن له الخلق و الأمر،

و هو المنعم بسائر أصناف النعم، الدافع لجميع النقم،

(وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ)

و كذلك « خرق المشركون » أي:–

ائتفكوا، و افتروا من تلقاء أنفسهم لله، بنين و بنات

(بِغَيْرِ عِلْمٍۚ)

منهم،

***بحقيقة ما يقولون و لكن جهلا بالله و بعظمته

وَ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي إِنْ كَانَ إِلَهًا أَنْ يَكُونَ لَهُ بَنُونَ وَ بَنَاتٌ وَ لَا صَاحِبَةٌ،

وَ لَا أَنْ يُشْرِكَهُ فِي خَلْقِهِ شَرِيكٌ.

❍و من أظلم ممن قال على الله بلا علم،

و افترى عليه أشنع النقص، الذي يجب تنزيه الله عنه؟!!.

*** يُنَبِّهُ بِهِ تَعَالَى عَلَى ضَلَالِ مَنْ ضَلَّ فِي وَصْفِهِ تعَالَى بِأَنَّ لَهُ وَلَدًا،

☼كَمَا يَزْعُمُ مَنْ قَالَهُ مِنَ الْيَهُودِ فِي الْعُزَيْرِ،

☼وَ مَنْ قَالَ مِنَ النَّصَارَى فِي الْمَسِيحِ

☼وَ كَمَا قَالَ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْعَرَبِ فِي الْمَلَائِكَةِ:

إِنَّهَا بَنَاتُ اللَّهِ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيراً.

❍و لهذا نزه نفسه عما افتراه عليه المشركون فقال:

(سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ)

فإنه تعالى، الموصوف بكل كمال، المنزه عن كل نقص، و آفة و عيب.

(بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ)

أي: خالقهما، و متقن صنعتهما، على غير مثال سبق، بأحسن:—

[خلق، و نظام و بهاء،]

لا تقترح عقول أولي الألباب مثله، و ليس له في خلقهما مشارك.

(أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ)

أي: كيف يكون لله الولد، و هو الإله السيد الصمد،

الذي لا (صَٰحِبَةٌ) له أي:—

لا زوجة له، و هو الغني عن مخلوقاته، و كلها فقيرة إليه،

مضطرة في جميع أحوالها إليه، و الولد لا بد أن يكون من جنس والده؛

(وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ)

و الله خالق كل شيء و ليس شيء من المخلوقات مشابها لله بوجه من الوجوه.

و لما ذكر عموم خلقه للأشياء، ذكر إحاطة علمه بها

فقال: (وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ)

و في ذكر العلم بعد الخلق، إشارة إلى الدليل العقلي إلى ثبوت علمه،

و هو هذه المخلوقات، و ما اشتملت عليه من النظام التام، و الخلق الباهر،

فـــإن فـــي ذلك دلالــــة علـــى:-

1-سعـــة علم الخالق،

2-و كمـــال حكمته،

كما قال تعالى:(أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)

و كما قال تعالى: (وَهُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ)

ذلكم الذي خلق ما خلق، و قدر ما قدر.

(89) إن الله فالق الحب والنوى...
بقلم الدكتور: زغلول النجار

http://www.islamicmedicine.org/zaghlool/89.htm

من الدلالات العلمية للآية الكريمة

للبذور النباتية اسمان متمايزان أولهما(الحب)
وثانيهما(النوي)،
ويعبر بلفظة(الحب) أو(الحبوب) عن البذور المستخدمة كمحاصيل غذائية أساسية للإنسان من مثل حبوب القمح(الحنطة) والشعير، والذرة، والشوفان وكلها من بذور النباتات الوعائية، المزهرة، ذات البذور المكونة من فلقة واحدة،
❍أما البذور ذات الفلقتين فيطلق عليها اسم(البذور) من مثل بذور العائلة القرنية التي منها الفول، والحمص، البازلاء، الفاصوليا، اللوبيا، العدس، الترمس، فول الصويا، الفول السوداني، الحلبة، البامية،
كما قد تطلق علي البذور التي لا يأكلها الإنسان من مثل بذور البرسيم، والقطن وغيرها.
❍أما البذور التي لها قدر من الصلابة فيطلق عليها اسم النوي(ومفردها نواة) كما قد تجمع علي أنواء،
وذلك مثل نواة كل من البلح، والمشمش، والبرقوق، والخوخ، والزيتون وغيرها، واللفظة تذكر وتؤنث،
وقد وردت في القرآن الكريم مرة واحدة.
وأيا كانت طبيعة غلاف أو اغلفة البذرة رقيقة هشة، أو سميكة خشبية أو قرنية صلبة فإن الله(تعالي) قد اعطي للجنين الكامن بداخلها القدرة علي شقها وفلقها بمجرد توافر الشروط اللازمة لإنباته،
وذلك من أجل تيسير خروج النبتة الجنينية النامية من داخل البذرة في عملية معجزة تعرف باسم عملية[إنبات البذور]
التي تتكاثر بها معظم النباتات الراقية.

و النباتات البذرية التي منها معظم طعوم و احتياجات الناس تضم أكثر من ربع مليون نوع من أنواع النباتات الراقية علي اختلاف أوضاعها التصنيفية،

و يمثل كل نوع منها بعشرة أصناف في المتوسط علي أقل تقدير،

و يمثل الصنف الواحد بأعداد لاتحصي من الأفراد،

و يستمر كل فرد من هذه الأفراد في التكاثر عن طريق انتشار أو استنبات بذوره إلي ما شاء الله.

و قد يطلق علي كل المحاصيل المستخدمة كمواد غذائية أساسية للانسان اسم(الغلة) وجمعها(الغلال) بمعني ما تغله الأرض،

و إن كانت لم ترد هذه اللفظة في القرآن الكريم..

وأصل كلمة(الحبة) مستمد من قلب كل شئ أو ثمرته، فحبة القلب سويداؤه، وحبة النبات ثمرته،

و(الحبة) و(الحب) بكسر الحاء تقال لبذور نباتات الصحراء مما ليس بقوت للإنسان من مثل بذور الأعشاب، والرياحين، والحشائش،

استنادا إلي ما جاء بالحديث الشريف:... فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل.

وجاء ذكر كلمة(حبة) في القرآن الكريم ست مرات في خمس من الآيات.

ماهية البذور:

البذور في النباتات الراقية هي البويضات المخصبة،

و علي ذلك فإنها هي وسيلة التكاثر في معظم هذه النباتات لأنها تحوي أجنتها الكامنة في حالة من السكون المؤقت،

و الجنين يشغل حيزا ضئيلا جدا من حجم البذرة،

أما باقي حجمها فيتكون من مواد غذائية غير حية مكتنزة يحتاج إليها الجنين في مراحل إنباته الأولي حتي يخرج منه المجموع الجذري متجها إلي أسفل، مخترقا التربة(باحثا عن الماء والغذاء علي هيئة الأملاح المذابة في هذا الماء أو من عناصر ومركبات التربة بطرائق مباشرة أو غير مباشرة)،
و حتي يندفع المجموع الخضري من الجنين إلي أعلي، باحثا عن كل من الهواء وأشعة الشمس،
و بمجرد تكون الأوراق الخضراء، يبدأ النبات في تصنيع الغذاء اللازم لنموه ولبناء جميع خلاياه، و انسجته، و ازهاره، و ثماره بواسطة عملية التمثيل الضوئي.
و يغلف البذرة بما فيها من الجنين والمواد الغذائية المكتزة عدد من الأغلفة اللازمة لحمايتها من المؤثرات الخارجية،
و من أهم هذه الأغلفة مايعرف باسم(القصرة) وهي تتكون من أغلفة البويضة بعد عملية الإخصاب مباشرة، كما يتكون غلاف الثمرة من جدار المبيض فور إتمام عملية الإخصاب.

و عندما يتم نضج البذرة فإنها تجف،
و يبقي الجنين الحي بداخلها في حالة من السكون المؤقت حتي تتهيأ له الظروف المناسبة للإنبات.
و يتفاوت طول الفترة التي تمر بين نضج البذرة وصلاحيتها للإنبات تفاوتا كبيرا،
ففي بعض الحالات تكون البذور صالحة للإنبات بمجرد انطلاقها من الثمرة أو إخراجها من داخلها،

و مثل هذه البذور إذا تعرضت للجفاف فإن الجنين بداخلها قد يفقد شيئا من حيويته أو يموت،
و في بعض النباتات الأخري قد يظـل الجنين محتفظا بحيويته في داخل البذرة(أو الحبة أو النواة) لسنوات عديدة كما هو الحال في العائلة القرنية، و نوي العديد من الثمار مثل نوي نخيل البلح.
و تتباين بذور النباتات في عدد أغلفتها، وفي شكل وطبيعة تلك الأغلفة، وفي حجم وشكل الجنين،
و في طبيعة خزن المواد الغذائية المصاحبة للجنين،
إما في نسيج خاص يعرف باسم الإندوسبرم(Endosperm)
أو في فلقة واحدة
أو فلقتين أو أكثر،
و هذا الغذاء المختزن إما أن يكون نشويا دقيقيا
أو قرنيا صلبا كما هو الحال في حبة الذرة،
أو يكون سيليولوزيا صلبا كما هو الحال في نواة ثمرة نخيل البلح.

فلق الحب والنوي(أو إنبات البذور)

تقوم أغلفة البذور بحمايتها من المؤثرات الخارجية،
و هذه الاغلفة غالبا ما تكون مميزة و تعرف باسم القصرة،
و لكنها في بعض الأحوال قد تلتحم بجدار البذرة حتي لايمكن تمييزها.
و قد هيأ الخالق العظيم للجنين في داخل البذرة قدرا من الاتصال المحدود بالعالم الخارجي عن طريق ندبة دائرية دقيقة جدا تعرف باسم السرة
و تمثل مكان ارتباط البذرة بالحبل السري،
و يوجد تحت السرة ثقب أدق منها كثيرا يعرف باسم النقير،

و تغطي هاتان الفتحتان بنسيج اسفنجي يعرف باسم البسباسة له قدرة علي امتصاص الماء،
و قد تكون هاتان الفتحتان علي هيئة شقين طوليين دقيقين فيعرفان باسم القلم و الكوز.
و هذه الفتحات هي مدخل الأوكسجين إلي الجنين،
و مدخل معظم الماء الذي تمتصه البذرة وقت إنباتها.

و الجنين الكامن في داخل البذرة يتكون من ثلاثة اجزاء رئيسية هي:
(1) الريشة وتعطي المجموع الخضري بعد نموها،
(2) الجذير ويعطي المجموع الجذري بعد نموه،
(3) السويقة وتعطي الساق بعد نموها؛
و يحيط بالجنين مخزون من المواد الغذائية في نسيج خاص يعرف باسم الإندوسبرم أو في فلقة واحدة أو في فلقتين أو أكثر،
و هذه المواد الغذائية المختزنة في داخل بذور النباتات تتكون من المواد الكربوهيدراتية، و البروتينية، و الدهون
بنسب تتفاوت بتفاوت نوع النبات.
فمن النباتات مغطاة البذور ذوات الفلقة الواحدة نبات الذرة،
و من ذوات الفلقتين نبات الفول،
و من النباتات عديدة الفلقات الصنوبر
و هو من النباتات معراة البذور.
و قد تبقي الفلقة أو الفلقتان أو الفلقات تحت سطح التربة،
و قد ترتفع أو ترتفعان فوق سطح الأرض
و تلعب أو تلعبان دور أوراق أولية تعرف باسم الأوراق الفلقية.

من شروط إنبات البذور:-

بعد فترة السكون التي عاشها الجنين في داخل البذرة الجافة،
فإن البذرة لكي تنبت و تتحول بالتدريج إلي بادرة ثم إلي النبات الكامل فإنها تحتاج إلي توافر عدد من الشروط الداخلية و الخارجية،

و الشروط الداخلية تتعلق بالبذرة ذاتها:-

1- حيوية الجنين،

2-و نضج البذرة و سلامتها من التسوس و العفن،

3-و من سمات نضج البذرة تخلصها من المواد الكابحة للنمو و المثبطة له من مثل الحمض الأبسيسي(AbscisicAcid)

و الذي يتخلق في بعض البذور ليساعد الجنين علي السكون و الكمون في داخل البذرة،

و يضمن سباته حتي تتوافر له الظروف المناسبة لإنباته.

و كثير من البذور يتوقف إنباتها علي إزالة تلك المواد المثبطة للنمو،

و يتم ذلك بواسطة الضوء و الحرارة،

أو بإفراز مواد مضادة للمواد المثبطة بواسطة الجنين ذاته في داخل البذرة، فسبحان الذي قدر ذلك بعلمه وقدرته.

4- توافر الإمكانية لامتصاص البذرة للقدر الكافي من كل من الماء و الأكسجين عن طريق فتحات دقيقة هيأها الخالق(سبحانه وتعالي) في جسم البذرة من مثل السرة والنقير أو القلم و الكوز،

خاصة أن بعض أنواع البذور مغطاة بطبقة خارجية صلبة قد تحول دون وصول القدر الكافي من الماء و الأكسجين إلي الجنين إلا بعد أن تمر تلك

الطبقة الخارجية للبذرة بسلسلة من النشاطات الطبيعية أو الكيميائية أو الميكروبية التي تعين علي تمزيقها.
و مثل هذه البذور قد يصعب استنباتها إلا بعد خدش غطائها الخارجي،
أو غسلها ونقعها في الماء لفترة محددة،
أو تعريضها للضوء
أو لدرجات الحرارة المنخفضة
(حوالي خمس درجات مئوية لمدة تتراوح بين أربعة وستة أسابيع)،
و ذلك لأن كلا من الضوء والحرارة المنخفضة يعمل علي تنشيط الجنين في داخل البذرة، ومساعدته علي الإنبات

أما عن الشروط الخارجية:-

1-فأولها توافر الماء بالمواصفات المناسبة لأنه أهم شروط الإنبات،
و بالقدر الكافي لأن غمر البذور بالماء قد يؤدي إلي إفسادها لمنعه الأكسجين من الوصول إلي الجنين في داخل البذرة،
2-و كذلك توافر القدر الكافي من الأكسجين،
3-و توافر درجات الحرارة
4-و الإضاءة المناسبة،
و ذلك لأن بعض البذور تنشط عملية إنباتها في الضوء
بينما البعض الآخر يفضل الظلام.

التغيرات التي تطرأعلي البذرة في أثناء إنباتها

عند توافر كل من الشروط الداخلية والخارجية للإنبات تبدأ البذرة بامتصاص الماء و الانتفاخ لزيادة حجمها،

و حينئذ تبدأ في داخل البذرة سلسلة معقدة من عمليات البناء و الهدم التي تعين الجنين علي التحرك بالنمو بعد فترة السكون التام التي عاشها و هو كامن في داخل البذرة الجافة،

<u>فيبدأ بالإنبات ليعيد دورة حياة النبتة الأم من جديد. وتشمل عملية الإنبات ما يلي:</u>

(1) امتصاص البذرة للماء، و انتفاخها بسبب الامتلاء التدريجي بهذا الماء حتي تبدأ القصرة(غلاف البذرة) في التمزق بسبب ازدياد الضغط عليها من داخل البذرة،

و بذلك يصل الماء بالقدر الكافي إلي الجنين،

و إلي كتلة الغذاء المختزنة حوله مما يساعد علي تنشيط كتلة الغذاء كيميائيا، و علي تنشيط الجنين حيويا.

(2) بدء الجنين في إفراز عدد من الإنزيمات القادرة علي تفتيت وتحلل المواد الغذائية المختزنة حوله في داخل البذرة إما في الفلقات أو في نسيج خاص، و هي مواد معقدة التركيب و غير قابلة للذوبان في الماء، فتحللها تلك الإنزيمات إلي مواد بسيطة و قابلة للذوبان في الماء حتي يمكن للجنين امتصاصها و العيش عليها، أثناء فترات الإنبات الأولي.

<u>و من امثلة هذه الإنزيمات ما يلي:</u>

1-إنزيم الدياستيز الذي يحول النشا إلي سكر.

2-إنزيم البروتيز الذي يحول البروتينات إلي أحماض أمينية.

3-و إنزيم الليبيز الذي يحول الدهون و الزيوت إلي أحماض دهنية و جلسرين،

و يؤدي ذلك إلي تضخم حجم المخزون الغذائي في داخل البذرة أضعافا كثيرة.

(3) شق التربة: من أهم عوامل شق التربة انتفاخ البذور نتيجة لامتصاصها كميات مناسبة من الماء لأن ذلك يولد قوة هائلة تعرف باسم قوة الإنبات لايكاد العقل البشري أن يتصور قدرها،
لدرجة أننا إذا ملأنا زجاجة بالبذور الجافة،
وأضفنا إليها قدرا مناسبا من الماء،
وأحكمنا غلق الزجاجة
فإن القوة الناتجة عن إنبات البذور و تضخم حجمها بامتصاص الماء تصبح كافية لتفجير الزجاجة مهما يكن سمك جدارها.
ويعين علي شق التربة تعطش المعادن المكونة لها للماء،
و امتصاصه بكميات كبيرة مما يؤدي إلي زيادة حجمها،
و ارتفاعها إلي أعلي حتي ترق التربة رقة شديدة
ثم تنشق لتفسح طريقا سهلا للسويقة الممتدة إلي أعلي من البذرة النابتة.
ويساعد علي تحرك جزيئات التربة إلي أعلي غلبة المعادن الصلصالية عليها، وهي علي هيئة رقائق صفائحية دقيقة تحتفظ بقدر من الغازات فيما بينها، فإذا تخللها الماء حل محل تلك الغازات،
ودفع بها إلي خارج التربة مما يؤدي إلي انتفاض حبيبات التربة إلي أعلي واهتزازها بعنف حتي ترق التربة وتنشق.
ويعين علي ذلك ايضا ما تحمله رقائق الصلصال من شحنات كهربية تتنافر مع الشحنات المشابهة علي جزئ الماء ذي القطبية الكهربية المزدوجة الموجبة علي ذرتي الإيدروجين والسالبة علي ذرة الأوكسجين.
(4) بدء خلايا الجنين في الانقسام والنمو حتي يمتد الجذير إلي أسفل ويعمل علي تثبيت النبتة في التربة،

وبذلك تتصل بمصدر غذائها الطبيعي الذي تقوم بامتصاصه علي هيئة العصارة الغذائية المكونة من الماء وما به من العناصر والمركبات المذابة أو التي يستخرجها المجموع الجذري مباشرة من مكونات التربة،

وقد أعطي الخالق(سبحانه وتعالي) كل نبتة من النباتات قدرات اختيارية عالية تختار بها مايناسبها من عناصر ومركبات الأرض اللازمة لنموها. وبعد تكون المجموع الجذري ترتفع الريشة مخترقة شقوق التربة لتظهر فوق مستوي سطح الأرض،

وبذلك تتحول(البذرة النابتة) إلي ما يسمي باسم(البادرة) التي تستطيل بالتدريج لتعطي الساق حاملا الأوراق والبراعم مكونة المجموع الخضري.

وباستمرار مراحل النمو المتتالية تتحول البادرة إلي(النبات الكامل) فتبارك الله أحسن الخالقين.

وفي عملية الإنبات قد تبقي الفلقة أو الفلقتان تحت سطح التربة (محاطة بالقصرة الممزقة) حتي يستنفد ما خزن بها أو بهما من غذاء في تغذية الجنين، وذلك كما يحدث في إنبات بذور البازلاء،

أو إنبات نوي نخيل البلح وفي المقابل قد تنمو السويقة إلي أعلي حاملة معها الفلقة أو الفلقتين إلي ما فوق سطح التربة، ومعهما الريشة، وتأخذ الفلقة أو الفلقتان في الاخضرار التدريجي للمشاركة في عملية التمثيل الضوئي لفترة محددة، حتي تستطيل الريشة وتظهر عليها الأوراق الخضراء مكونة المجموع الخضري للنبات الذي يقوم بعملية التمثيل الضوئي،

وحينئذ تضمر الورقة الفلقية أو الورقتان الفلقيتان وتسقط أو تسقطان بعد استنفاد ما بهما من غذاء.

هذه العمليات المعقدة في فلق الحب والنوي لايقوي عليهما أحد من الخلق، ولايمكن لهما أن تتما بغير توجيه، وهداية ربانية ومن هنا نسب الحق(تبارك وتعالي) هاتين العمليتين لذاته العلية تشريفا لهما، وتعظيما لشأنهما لأنه بدونهما ما كانت هناك إمكانية للحياة علي الأرض ولذلك قال(عز من قائل):

إن الله فالق الحب والنوي...(الأنعام:95)

فالحمدلله علي نعمه المتعددة

و منها فلق الحب والنوي، وعلي رأس تلك النعم: القرآن الكريم، الذي أنزله ربنا(تبارك وتعالي) بعلمه علي خاتم أنبيائه ورسله(ﷺ)

وتعهد(سبحانه وتعالي) بحفظه في نفس لغة وحيه، كلمة كلمة، وحرفا حرفا، ولذلك بقي القرآن الكريم محتفظا بجلال الربوبية المتلألئ بين آياته، وبالدقة العلمية الواضحة في كل اشاراته، والشاهدة علي صدق وحيه، وصدق نبوة الرسول الخاتم الذي تلقاه.

يخرج الحي من الميت

الرابط

آيات كثيرة نمر عليها ولا تكاد تلفت انتباهنا حتى يكتشف العلماء شيئاً غريباً لنجد أن القرآن تحدث عنه بكل دقة، ومن ذلك إخراج الحي من الميت، لنقرأ.....

أرسل لي أحد الإخوة الأفاضل مقالة نشرتها الغارديان (بتاريخ 2008/6/12) حول حبات من التمر (نوى التمر) عمرها 2000 سنة، حيث عثر العلماء على حبات من نوى التمر في قلعة أحد الملوك القدامى بالأردن،
وتبين أن عمر هذه الحبات يزيد على 2000 سنة، ثم قاموا بزراعتها فأنبتت، وهذا ما أثار دهشة العلماء،
فكيف يمكن لحبة أن تبقى ألفي سنة ثم تعود إلى الحياة!
وهذا يضيف دليلاً جديداً على إعادة الحياة لهذه البذور بعد أن فقدت أي شكل من أشكال الحياة.
وقد درس العلماء هذه الظاهرة ولا زالت من دون تفسير، إذ أن البذرة تحوي بداخلها برامج خاصة تبقيها مستعدة للحياة في أي لحظة!
ويحتار العلماء من الذي وضع هذه البرامج؟
ومن أين جاءت هذه القدرة الغريبة على النمو بمجرد وجود الماء؟
وكيف تحتفظ البذرة بكامل قدراتها على النمو لتنبت نفس النبات دائماً،
أي أن بذرة النخيل لا تنبت إلا شجرة نخيل،
وبذرة العنب لا تنبت إلا شجرة عنب وهكذا،
فمن الذي علم هذه البذور
ومن الذي أرشدها لتقوم بعملها دون أدنى خطأ؟
إنه الله تعالى القائل: (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ) [الروم: 19].



هذه حبات من التمر عمرها 2000 سنة وجدت في قلعة الملك هيرود بالقرب من البحر الميت (Science Magazine)

ولا زالت تحافظ على شكلها رغم هذه المدة الطويلة،

وهذا ما أثار تساؤلات العلماء:

كيف يمكن لبذور التمر أن تبقى ألفي سنة دون أن تفسد؟!

لقد قام العلماء قبل ثلاث سنوات بزراعة هذه البذور في تربة مناسبة مع معالجتها بهرمون يساعد على النمو،

فأنبتت وأصبح طول النخلة الآن 1.5 متراً،

و يؤكد العلماء أن الكثير من أنواع البذور لديها القدرة على البقاء لسنوات طويلة إذا ما توافرت لها الظروف المناسبة.

ويقول العلماء إن هذه البذور هي أقدم بذور قابلة للنمو تم اكتشافها حتى الآن، فقد وجدوا الكثير من البذور لنباتات أخرى مثل اللوتس عمرها 1300 عام وتم إنباتها في مختبرات خاصة،

ولكن بذور النخيل هذه لديها قدرة غريبة على البقاء، فهي شجرة مباركة، ولذلك يذكر القرآن هذه الفاكهة،

يقول تعالى: (وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ * رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ) [ق: 9-11].

تأملوا معي كيف جاء ذكر النخل (وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ) مع ذكر إحياء الأرض بعد موتها (وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا) مع ذكر إخراج الموتى (كَذَلِكَ الْخُرُوجُ)، فكأننا نلمس إشارة إلى قدرة هذه البذور أي بذور النخيل على الحياة.



شجرة النخيل التي تم إنباتها من بذور عمرها ألفي عام، وقد نمت بنجاح وبشكل طبيعي حيث بدأت الأوراق بالظهور بعد ثمانية أسابيع، فقط وفر العلماء لها المناخ والتربة المناسبة.

إن هذه البذور أو أي بذور أخرى بمجرد وصول الماء إليها تبدأ بممارسة مهامها، وتبدأ بالانقسامات والنمو وإخراج نبات كامل، هذا ما يعجب له العلماء:

فمن أين تأتي تلك القوة التي تفلق وتقسم خلايا النبات وتضاعفها حتى تشكل شجرة كاملة تحوي ملايين الخلايا،

وقد كانت بالأصل خلية واحدة؟! أليس هو الله تعالى القائل: (إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ)

[الأنعام: 95].

هناك ملحدون يقولون إذا مات الإنسان وتحلل جسده فكيف يمكن أن تعود له الحياة بعد آلاف السنين؟

إن الله تعالى بقدرته وضع في هذه البذور الضعيفة القدرة على البقاء وتحمل الظروف الطبيعية الصعبة من درجات حرارة ورطوبة،

كذلك وضع في الأرض التي نظنها ميتة القدرة على إخراج النباتات، لتكون شاهداً على قدرة الله على إحياء الموتى،

وهذا ما أخبرنا عنه القرآن بقوله تعالى: (فَانْظُرْ إِلَى آَثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [الروم: 50].

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ
ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ
أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ
لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ
ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم
بِوَكِيلٖ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ
كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ
﴿١٠٨﴾ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۚ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ
ٱللَّهِۖ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا
لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١١٠﴾

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ
ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ

وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿١٠٤﴾

(ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ)

أي: المألوه المعبود، الذي يستحق:-

1-نهـــــاية الـــــذل،

2-و نهـــــاية الـــــحب،

الرب، الذي ربى جميع الخلق بالنعم، و صرف عنهم صنوف النقم.

(لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ)

أي: إذا استقر و ثبت، أنه الله الذي لا إله إلا هو،

(فَٱعۡبُدُوهُۚ)

فاصرفوا له جميع أنواع العبادة، و أخلصوها لله، و اقصدوا بها وجهه.

فإن هذا هو المقصود من الخلق، الذي خُلِقُوا لأجله

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ).

(وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ)

أي: جميع الأشياء، تحت وكـــــالة الله و تدبيره:-

1-خلقـــــا،

2-و تـــــدبيرا،

3-و تصـــــريفا.

و من المعلوم، أن الأمر المتصرف فيه يكون:-

1-استقـــــامته

2-و تمـــــامه،

3-و كمـــــال انتظامه،

بحسب حال الوكيل عليه و وكالته تعالى على الأشياء،

ليست من جنس وكالة الخلق،

فإن وكالتهم، وكالة نيابة، و الوكيل فيها تابع لموكله.

و أما الباري، تبارك و تعالى،

فوكالته من نفسه لنفسه، متضمنـــــــة:-

1-لكمـــــال العلم،

2-و حســـــن التدبير و الإحسان فيه،

3-و العـــــدل

فلا يمكن لأحد أن يستدرك على الله،و لا يرى في خلقه خللا و لا فطورا،

و لا في تدبيره نقصا و عيبا.

و من وكالته:- أنه تعالى، توكل بـــــ:-

1-بيـــــان دينه،

2-و حفظـــــه عن المزيلات و المغيرات،

3–و أنه تولى حفظ المؤمنين و عصمتهم عما يزيل إيمانهم و دينهم.

(لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ)

لعظمته، و جلاله و كماله، أي:–

لا تحيط به الأبصار، و إن كانت تراه، و تفرح بالنظر إلى وجهه الكريم،

فنفي الإدراك لا ينفي الرؤية، بل يثبتها بالمفهوم.

فإنه إذا نفى الإدراك، الذي هو أخص أوصاف الرؤية، دل على أن الرؤية ثابتة.

فإنه لو أراد نفي الرؤية، لقال « لا تراه الأبصار » و نحو ذلك،

فَعُلِمَ أنه ليس في الآية حجة لمذهب المعطلة،

الذين ينفون رؤية ربهم في الآخرة، بل فيها ما يدل على نقيض قولهم.

(وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ)

أي: هو الذي أحـــــاط:–

علمه، بالظواهر و البواطن،

و سمعه بجميع الأصوات الظاهرة، و الخفية،

و بصره بجميع المبصرات،صغارها، و كبارها،

و لهذا قال: (وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ)

الــــــــذي :–

1–لطف علمه و خبرته،و دق حتى أدرك

[السرائر و الخفايا، و الخبايا و البواطن.]

2–و من لطفه، أنه يســـــوق:–

أ–عبده إلى مصالح دينه،و يوصلها إليه بالطرق التي لا يشعر بها العبد، و لا يسعى فيها،

ب–و يوصله إلى السعادة الأبدية، و الفلاح السرمدي، من حيث لا يحتسب،

ج–حتى أنه يقدر عليه الأمور، التي يكرهها العبد،و يتألم منها،

و يدعو الله أن يزيلها، لعلمه أن دينه أصلح،

و أن كماله متوقف عليها، فسبحان اللطيف لما يشاء، الرحيم بالمؤمنين.

***أي لا تدركه الابصار في الدنيا**

صحيح البخاري

3234 عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ:

«مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ،

وَ لَكِنْ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ وَ خَلْقُهُ سَادٌّ مَا بَيْنَ الأُفُقِ»( )

***** فَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [الْقِيَامَةِ: 22، 23]**

وَقَالَ تَعَالَى عَنِ الْكَافِرِينَ:

{كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} [الْمُطَفِّفِينَ: 15] .

قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ:-

فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يُحْجَبُون عَنْهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

(أعظم) دخل في أمر عظيم. (صورته) هيئته وحقيقته. (خلقه) خلقته التي خلق عليها]

وَ أَمَّا السُّنَّةُ، فَقَدْ تَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ عَنْ غير وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ:
أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ اللَّهَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ فِي الْعَرَصَاتِ،
وَ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ، جَعَلَنَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُمْ بِمَنِّهِ وَ كَرَمِهِ آمين.
***وَ قَالَ آخَرُونَ: لَا مُنَافَاةَ بَيْنَ إِثْبَاتِ الرؤية وَ نَفْيِ الْإِدْرَاكِ،
فَإِنَّ الْإِدْرَاكَ أَخَصُّ مِنَ الرُّؤْيَةِ، وَ لَا يَلْزَمُ مِنْ نَفْيِ الْأَخَصِّ انْتِفَاءُ الْأَعَمِّ.

قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَاۚ

وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾

لما بين تعالى من الآيات البينات، و الأدلة الواضحات،

الدالة على الحق في جميع المطالب و المقاصد،

نَبَّه العباد عليها، و أخبر أن هدايتهم و ضدها لأنفسهم،

فقال: (قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْۖ)

أي: آيات تبين الحق،و تجعله للقلب بمنزلة الشمس للأبصار،

لِمَـــا اشتملـــت عليه من:-

1-فصـــاحة اللفظ،و بيانه، و وضوحه،

2-و مطـــابقته للمعاني الجليلة، و الحقائق الجميلة،

لأنها صادرة من الرب، الذي ربى خلقه، بصنوف نعمه الظاهرة و الباطنة،

التي من أفضلهـــا و أجلهـــا:-

1-تبييـــن الآيات،

2–و تـــــوضيح المشكلات.

(فَمَنۡ أَبۡصَرَ)

بتلك الآيات، مواقع العبرة، و عمل بمقتضاها

(فَلِنَفۡسِهِۦۖ)

فإن الله هو الغني الحميد.

***كقوله﴿ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ ﴾

الإسراء: ١٥

(وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ)

بأن بُصِّـــــــر فلم يتبصر،

و زُجِـــــر فلم ينزجر،

و بُيِّـــــن له الحق، فما انقاد له و لا تواضع،

فإنما عماه مضرته عليه.

***كقوله﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ الحج: ٤٦

(وَمَآ أَنَا۠)

أي: الرسول

(عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ)

***﴿ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ﴾الرعد: ٤٠

أحفظ أعمالكم و أرقبها على الدوام

إنما عليَّ البلاغ المبين و قد أديته،

و بلغت ما أنزل الله إليَّ، فهذه وظيفتي،

و ما عدا ذلك فلست موظفا فيه .

وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ١٠٥

(وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ)

*** وَ كَمَا فَصَّلْنَا الْآيَاتِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، مِنْ بَيَانِ التَّوْحِيدِ
وَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، هَكَذَا نُوَضِّحُ الْآيَاتِ وَ نُفَسِّرُهَا وَ نُبَيِّنُهَا فِي كُلِّ مَوْطِنٍ
لِجَهَالَةِ الْجَاهِلِينَ،
وَ لِيَقُولَ الْمُشْرِكُونَ وَ الْكَافِرُونَ الْمُكَذِّبُونَ: -

(وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ)

دَارَسْتَ يَا مُحَمَّدُ مَنْ قَبْلِكَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ قَارَأْتَهُمْ وَ تَعَلَّمْتَ مِنْهُمْ.
***وَ هَذَا كَمَا قَالَ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ كَذِبِهِمْ وَ عِنَادِهِمْ:
{وَ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلا} [الْفُرْقَانِ: 4، 5]

(وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ)

ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٦ وَلَوۡ شَآءَ
ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ١٠٧

*** يَقُولُ تَعَالَى آمِرًا لِرَسُولِهِ ﷺ وَ لِمَنِ اتَّبع طَرِيقَتَهُ:

{ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ}

أَي: اقْتَد بِهِ، وَ اقْتَفِ أَثَرَهُ، وَ اعْمَلْ بِهِ؛

فَإِنَّ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا مِرْية فِيهِ؛ لِأَنَّهُ

(لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ)

{وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ}

أَي: اعْفُ عَنْهُمْ وَ اصْفَحْ، وَ احْتَمِلْ أَذَاهُمْ، حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ لَكَ وَ يَنْصُرَكَ وَ يُظْفِرَكَ عَلَيْهِمْ.

وَ اعْلَمْ أَنَّ لِلَّهِ حِكْمَةً فِي إِضْلَالِهِمْ،

فَإِنَّهُ لَوْ شَاءَ لَهَدَى النَّاسَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا و لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى

{وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ}

أَيْ: بَلْ لَهُ الْمَشِيئَةُ وَ الْحِكْمَةُ فِيمَا يَشَاؤُهُ وَ يَخْتَارُهُ،

لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْأَلُونَ.

وَقَوْلُهُ: {وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ}

أَيْ: حَافِظًا تَحْفَظُ أَعْمَالَهُمْ وَ أَقْوَالَهُمْ

{وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ}

أَيْ: مُوَكَّلٍ عَلَى أَرْزَاقِهِمْ وَ أُمُورِهِمْ

{إِنْ عَلَيْكَ إِلا الْبَلاغُ}

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ}

[الْغَاشِيَةِ: 21، 22] ،

وَ قَالَ {فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ} [الرَّعْدِ:40]

وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾

(وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ)

ينهى الله المؤمنين عن أمر كان جائزا، بل مشروعا في الأصل،

و هو سب آلهة المشركين، التي اتخذت أوثانا و آلهة مع الله،

[التي يُتَّقرب إلى الله بإهانتها و سبها .]

✪و لكن لما كان هذا السب طريقا إلى سب المشركين لرب العالمين،

الذي يجب تنزيه جنابه العظيم عن كل:-

[عيب، و آفة، و سب، و قدح -] نهى الله عن سب آلهة المشركين،

(فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ)

حتى إنهم، ليسبون الله رب العالمين،

(عَدْوًۢا)

*الميسر: اعتداءً

(بِغَيْرِ عِلْمٍۗ)

الذي رسخت عظمته في قلوب الأبرار و الفجار، إذا سب المسلمون آلهتهم.

❍و في هذه الآية الكريمة، دليل للقاعدة الشرعية و هـــــو:

أن الوسائل تعتبر بالأمور التي توصل إليها، و أن وسائل المحرم،
و لو كانت جائزة تكون محرمة، إذا كانت تفضي إلى الشر.
*** وَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ -وَ هُوَ تَرْكُ الْمَصْلَحَةِ لِمَفْسَدَةٍ أَرْجَحَ مِنْهَا -
صحيح البخاري
5973 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ»
قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَ كَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟
قَالَ: «يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَ يَسُبُّ أُمَّهُ»

(كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

- لأنهم يَحْمُون لدينهم، و يتعصبون له.

لأن كل أمة، زين الله لهم عملهم،

فرأوه حسنا، و ذَبُّوا عنه، و دافعوا بكل طريق،

***وَ كَمَا زَيَّنَا لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ حُبَّ أَصْنَامِهِمْ وَ الْمُحَامَاةَ لَهَا وَ الِانْتِصَارَ،
كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ عَلَى الضَّلَالِ عَمَلَهُمُ الَّذِي كَانُوا فِيهِ،
وَ لِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ، وَ الْحِكْمَةُ التَّامَّةُ فِيمَا يَشَاؤُهُ وَ يَخْتَارُهُ.

{ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ}
أَيْ: مَعَادُهُمْ وَ مَصِيرُهُمْ،
- و لكن الخلق كلهم، مرجعهم و مآلهم، إلى الله يوم القيامة،

{فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}

أَيْ: يُجَازِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَ إِنَّ شَرًّا فَشَرٌّ.

○يعرضون عليه،و تعرض أعمالهم، فينبئهم بما كانوا يعملون، من خير و شر.

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ ۖ

وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ

يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾

(وَأَقْسَمُوا)

أي: و أقسم المشركون المكذبون للرسول ﷺ

(بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ)

أي: قسما اجتهدوا فيه و أكدوه.

(لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ)

تدل على صدق محمد ﷺ

(لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ)

و هذا الكلام الذي صدر منهم، لم يكن قصدهم فيه الرشاد،

و إنما قصدهم دفع الاعتراض عليهم، و رد ما جاء به الرسول قطعا،

فإن الله أيد رسوله ﷺ، بالآيات البينات،و الأدلة الواضحات،

التي – عند الالتفات لها– لا تبقي أدنى شبهة و لا إشكال في صحة ما جاء

به، فطلبهم – بعد ذلك– للآيات من باب التعنت، الذي لا يلزم إجابته،

بل قد يكون المنع من إجابتهم أصلح لهم،

فإن الله جرت سنته في عباده، أن المقترحين للآيات على رسلهم، إذا جاءتهم، فلم يؤمنوا بها – أنه يعاجلهم بالعقوبة،

و لهذا قال: (قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ)

أي: هو الذي يرسلها إذا شاء، و يمنعها إذا شاء، ليس لي من الأمر شيء،

فطلبكم مني الآيات ظلم،و طلب لما لا أملك،

و إنما توجهون إلى توضيح ما جئتكم به، و تصديقه، و قد حصل،

و مع ذلك، فليس معلوما، أنهم إذا جاءتهم الآيات يؤمنون و يصدقون،

بل الغالب ممن هذه حاله، أنه لا يؤمن،

و لهذا قال: (وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ) .

***قِيلَ: الْمُخَاطَبُ بِـ {وَمَا يُشْعِرُكُمْ} الْمُشْرِكُونَ،

وَ قِيلَ: الْمُخَاطَبُ بِقَوْلِهِ: {وَمَا يُشْعِرُكُمْ} الْمُؤْمِنُونَ، أَيْ:-

*** وَعَلَى هَذَا فَتَكُونُ "لَا" فِي قَوْلِهِ: {أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ} ((صِلَةً)) كَمَا فِي قَوْلِهِ: {مَا مَنَعَكَ أَلا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ} [الْأَعْرَافِ: 12] ، وَقَوْلُهُ {وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ} [الْأَنْبِيَاءِ: 95] .

أي: ما منعك أن تسجد إذ أَمَرْتُكَ

وَ حَرَامٌ أَنَّهُمْ يَرْجِعُونَ.

وَ تَقْدِيرُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ:

*** وَ مَا يُدْرِيكُمْ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ تَوَدُّونَ لَهُمْ ذَلِكَ حِرْصًا عَلَى إِيمَانِهِمْ -أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْهُمُ الْآيَاتُ يُؤْمِنُونَ

(وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ

وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ)

(وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ)

***وَ نَحُولُ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَ لَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ، فَلَا يُؤْمِنُونَ،

(كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ)

كَمَا حُلْنَا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْإِيمَانِ أَوَّلَ مَرَّةٍ.

أي: و نعـــــاقبهم،

إذا لم يؤمنوا أول مرة يأتيهم فيها الداعي،و تقوم عليهم الحجة، بــــــ:-

1-تقليـــــــــــب القلوب،

2-و الحيلــــــولة بينهم و بين الإيمان،

3-و عـــــــدم التوفيق لسلوك الصراط المستقيم.

و هذا من عدل الله، و حكمته بعباده،

فإنهم الذين جنوا على أنفسهم، و فتح لهم الباب فلم يدخلوا،

و بين لهم الطريق فلم يسلكوا،

فبعد ذلك إذا حرموا التوفيق، كان مناسبا لأحوالهم.

(وَنَذَرُهُمْ)

***نتركهم

(فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ)

***قال بعض العلماء:كفرهم-أو ضلالهم

(يَعۡمَهُونَ)

***يترددون